التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

٧٢

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيْتِ عليهم السلام/ السَّنة ١٣/ العَدَد ٧٢ شهر محرم - صفر ١٤٣٨هـ/ تشرين الأول - تشرين الثاني ٢٠١٦م

ينابيع ٧٢

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام
تصدر كل شهرين عن

موسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً.
المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.
قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت ام لم تنشر.

((هذا الحسين))

للشاعر: مسلم مصارع الناصري

هـذا الحسين وهـل هنالك أحسن ... من كـان لم يرحـل فكيـف يـؤبّـنُ

تلك الحياة ولا حياة كمثلهـا ... تلك الحيـاة هي الحيـاة الأمتـن

لا كانت الدنيـا ولا كـان الورى ... في عـالم يفنى به المتـدين

والارتـحـال بما يزينـك عنهمـا ... هو للكـريـم مع المكـارم أزيـن

نبذت فراقد كربلاء مناهمـا ... وسـمت إلى العزّ الذي هو مـوطن

يا ناشـداً درب العـلا هذا العـلا ... حتى متى تبقى لـه تتـأيـن

قف حيث أنت هنا الهداية كلها ... وهنا استطال بما استقام الممكن
إنَّ الحسين هو التألق والندى ... وعطاء ثورتِهِ العطاء المتقن
بلغ النهاية في التألهِ والعلا ... بلغ النهاية فالمواقف تأرن
ليس النهاية إنهُ ما بعدها ... حيث النهاية ما تراه الأعين
اللهُ فضلهُ وأمضى أمرهُ ... فهو الكمال وفيضه يتعين
تاه الغرور بمن توهم قتله ... فثورموا بغرورهم واستسمنوا
وإذا بأنوار الحسين تحيطهم ... وترى الأنام بأنهم لم يؤمنوا

يا أيها الناس استجيبوا للنِّدا ... وخذوا بأعتاب النهى لا تُلعنوا
لا تندبوا أنى وقعتم حظكم ... قوموا وسيروا في الوهى لا تقنطوا
إنّ المسيرة تستفيق بسيركم ... لولا التحرك كل شيء يأسن
والثأر يهتف بين ظهرانيكم ... يا أيها الناس انهضوا لا تنثنوا
وتأهبوا أن تنقذوا مالم يكن ... أودى به المستكبرون وأمعنوا
أعداؤكم لا ينكؤون جراحكم ... إلاّ بأن جراحكم لا تسكن
وهناك بعض الحاقدين على الهدى ... ودّوا لكم لو تدهنون فيدهنوا
ويبادرون إلى الزمام لوأدكم ... فتحفظوا يا أخوتا أن تركنوا
وتوحدوا لا ينفذون إليكم ... لن تندموا من بعدها وتأننوا
وتأكدوا أنّ الطغاة بكيدهم ... يغرونكم في ترك ما يستحسن
فتحققوا كيف استمالهم الهوى ... فتنكبوا سُبل الأذى وتفرعنوا
كم بادروا الفرص التي تستامكم ... كم أرصدوا وتربصوا وتحينوا
كم عذبوا كم شردوا كم قتلوا ... ما أعلنوا أدنى لما لم يعلنوا
ورموا على علمائنا أذنابهم ... فتنمروا لولاتنا وتلونوا

لقد اطمأنوا للحياة بجهلهم ... وعلى مخالفة السماء توطنوا
ظنوا بأن الإنبهار يقلهم ... فوق القضاء تعدياً وتكهنوا

سكنوا قصورا غير قصورهم ... يدّعون بأنهم بها لم يسكنوا
الله أكبر يادماء تفجري ... واستأصلي من لم يكن يتجون
ويعيد في نصر الحسين صياغة ... التاريخ حتى ييأس المتصهين
قد أوغل المتآمرون بقتلنا ... حتى تمادوا بالردى وتفننوا
من يضمن اليوم السلام لشعبنا ... من يضمن الأخرى لنا من يضمن
قد أصبح الأنسان مابين الورى ... مهما تسامح وانتاى لا يأمن
فدماء سبط المصطفى قد هونت ... كل الدماء فكان مالا يمكن

أهم المواضيع

نهضة الإمام الحسين عليه السلام بين الشعار والواقع ص (١٦)

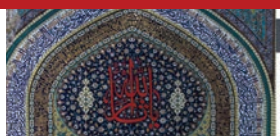

مشروع الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح المجتمع ص (٧٨)

لغة المقارنة في كلام الإمام الحسين عليه السلام ص (٣٠)

خلود الإمام الحسين عليه السلام في ذاكرة الشعراء ص (٩٤)

شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام ص (٤٢)

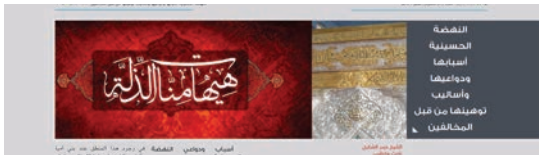

النهضة الحسينية أسبابها ودواعيها وأساليب توهينها من قبل المخالفين ص (١٠٤)

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام خير الأصحاب... ص (٥٦)

زيارة الأربعين بين الماضي والحاضر ص (١١٢)

كلمة العدد

الشعائر الحسينية ...بين (التهذيب) والإلغاء!
رئيس التحرير..... ٨

التربية القرآنيــة .. وبناء الفكــر القيّمي للإمام الحسين عليه السلام
د. محمد كاظم حسين الفتلاوي....١٠

نهضة الإمام الحسين عليه السلام بين الشعار والواقع
السيد علي الدزفولي.....١٦

كرامات الإمام الحسين عليه السلام من طرق العامة
د. علي عبد الزهرة الفحام.....٢٢

لغة المقارنة في كلام الإمام الحسين عليه السلام
أ.م.د. عباس علي الفحام.....٣٠

المنظومة العسكرية عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام
كريم جهاد الحسّاني.....٣٦

شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام
أ. د. نجم عبدالله الموسوي.....٤٢

العباس بن علي عليه السلام رائد طريق الإمامة
أ.م.د. حسن حميد فياض..... ٤٨

القيم الأخلاقية في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام
أ.م.د خليل خلف بشير..... ٥٢

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام خير الأصحاب...
د. مجيد حميد الحدراوي..... ٥٦

دور المرأة في فاجعة الطف
الشيخ أحمد علي الخفاجي..... ٦٢

السيد حيدر الحلي (رحمه الله) وقصيدته العينية
محمد علي جعفر..... ٦٨

مشروع الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح المجتمع
الدكتور حسين لفته حافظ.....٧٨

المنبر الحسيني المدرسة الإسلامية المتحرّكة
الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله.....٨٤

فوائد المجالس الحسينية
سكينة الربيعي.....٩٠

خلود الإمام الحسين عليه السلام في ذاكرة الشعراء
أ.م.د. مرتضى الشاوي.....٩٤

عبد الله الرضيع: الطفولة المستباحة
أ.م.د. علي مجيد البديري.....٩٨

النهضة الحسـينية أسـبابها ودواعيها وأساليب توهينها من قبل المخالفين
الشيخ حيدر الشكري..... ١٠٤

زيارة الأربعين بين الماضي والحاضر
بقلم: المحامي أحمد المالكي.....١١٢

أحبَّ اللهُ من أحبَّ حسينا
الشيخ حسـن العيسـاوي.... ١٢٢

في الذاكرة..... ٧٤

أجوبة مسابقة العدد (٧٠) وأسماء الفائزين.... ١٢٨

مسابقة العدد (٧٢)..... ١٢٩

كلمة العدد

الشعائر الحسينية ..بين (التهذيب) والإلغاء!

بسم الله الرحمن الرحيم

ما إن يقتربُ شهرُ المحرَّم الحرام كل عام، حتى تعاود أصواتٌ بعينها من إخواننا في الولاية تَصَدُّرَها للمشهد الإعلامي في وسائل الإعلام المختلفة، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي، صابَّةً جامَ غضبها على الشعائر الحسينية، مناكِفةً لممارسيها، ومعنِّفةً لهم تحت ذريعة (تهذيب الشعائر). فاتحة البابَ على مصراعيه أمام سجالاتٍ كلاميَّةٍ لاطائلَ فيها، خاصةً حين تدور رحاها حولَ ما اختلفتْ فيه الأذواقُ والأمزجةُ، وكأنَّ مشاكلَ الأمَّةِ قد حُلَّت جميعُها، ولم تبقَ غيرُ عقدةِ الشعائر عقبةً أمام تقدمها وازدهارها! .

مهلًا أيها الإخوة فإنَ ما يقومُ به الشيعةُ ـ أعزهم الله ـ في موسم عاشوراءَ من إظهارٍ للحزن والجزع - بكل أشكاله - على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، من لبسِ السواد، ورفعِ الأعلام، إلى إقامةِ مجالسِ العزاء، واللطم على الصدور، وإدماءِ الرؤوسِ والظهور، وقرعِ الطبول، وتوزيعِ الطعام والماءِ، والمسيرِ إلى كربلاءَ زُرافاتٍ ووحداناً لأداءِ مراسم العزاء والزيارة، ما هو إلا امتثالٌ لدعوةِ أئمةِ أهلِ البيت عليهم السلام لشيعتِهم بإحياءِ أمرهم، وإقامةِ مآتمهم، وإظهارِ الحزنِ والجزعِ والبكاءِ على سيدِ الشهداء عليه السلام، بصفتِها أعظمَ مصائب الدهر، ففي عاشوراءَ يرى الناظرُ ويسمعُ، بكاءً وعويلاً ودموعًا ودماءً وضجيجًا وصخبًا وصرخاتٍ مدويةً، استذكارًا لوقوعِ أبشع جريمة في التاريخ، ألا وهي التي ارتكبت بحق الإمام الحسين عليه السلام، المُصلحِ الذي تصدى بنفسه وأولاده وأهل بيته وأصحابه، لكشف الزيف والانحراف في المسيرة المحسوبة على الإسلام، وفَضَحَ الساسةَ المنحرفينَ الفاسدينَ، ولَفَتَ انتباهَ الشعوبِ إليها، لاسيما شيعته، وهم أولى من غيرهم في إظهار الجزع على مظلوميته وإبقاءِ جذوة شهادته عليه السلام متقدة في الضمائر جيلًا بعد جيل، لايبرد أُوارُها ولاتخمُدُ نارُها ولاتفتُرُ ذكراها، وإلا لمثَّلَ العكس استهانةً بدم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وخيانةً لهم -لاسمح الله-.

فتقديمُ الصورةِ الحقيقيةِ للإسلام المحمديِّ بامتدادِهِ الرساليِّ المتمثلِ حصرًا بأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، ورفضُ ما سواه

من (الإسلام) المزيَّفِ المُحرَّفِ المُستَضعِفِ للشعوبِ المغلوبةِ على أمرِها والناهِبِ لخيراتها في كلِّ زمانٍ ومكان، هو أحدُ أهدافِ إحياءِ هذهِ الشعائر، وهذا مايعاديه الطواغيتُ عداءً سافرًا، ويحاربونَهُ حربًا شعواءَ لا هوادة فيها، لما يرمز إليه من تهديدٍ لمصالِحِهم وزلزلةٍ لعروشِهِم.

إن إطلاق حملة (تهذيب) الشعائر، - لوقُيِّضَ لها أن تلقى آذانًا صاغيةً - قد تستدرجنا إلى التنازل عنها شعيرةً فشعيرة، إلى أن تتعرَّى عاشوراءُ من الشعائرِ وتتجرَّدُ عنها، فنتعرّى معها ونتجرَّدُ عن مشاعرنا وعواطفنا كما حصلَ أيامَ النظام البعثي البائدِ الذي تدرَّجَ في منعِها منذ اغتصابِهِ للسلطة في العراق، واحدة تلو الأخرى، إلى أن اشتدَّ عودُهُ في الطغيان وقوي بأسُهُ في الإجرام، ولم يعد يخشى في الشيطانِ لومةَ لائم، فلم يتردد آخرَ المطاف حتى في منعِ الزيارة نفسها، ولعلَّ كلَّ من توجَّهَ إلى زيارة عاشوراءَ عامَ اندحارِ النظام البعثيِّ الكافرِ إلى غير رجعة، يتذكَّرُ أبوابَ الصحنِ الحسينيِّ الشريفِ التي كانت مغلقة في وجه الزوَّار تنفيذًا لقرار منع زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لا ندري إن كانت هذه الحقيقة غائبة عن أذهان دعاة (التهذيب) أو كانوا مدركين لتبعاتها وخطورتها.

إذا كان مدارُ السجالات هو مشروعيةُ هذه الشعيرة أو تلك من عدمها، فلا شك أن الفيصل هم مراجع التقليد، الذين حسموا الأمر بهدوء، كما أفاض به المرجع الكبير السيد الحكيم حول بعض هذه الشعائر، فقال (مد ظله): (إنما يؤتى بها بقصد إظهارِ العاطفةِ نحو المبدأ الحقِّ ورجالِهِ، وترويجِهِ، ورفعِ دعائِمِهِ، فهي من الأمور الراجحةِ شرعاً من الجهة المذكورة، ولكنها قد تكون مرجوحة أو محرمة لعنوان ثانوي، .... وقال (حفظه الله): والأملُ بإخوتِنا المؤمنين (سدَّدهم الله تعالى وأعزَّ دعوتهم) عند اختلاف وجهات النظر – في هذه الأمور وغيرها – الاهتمام بوحدة الكلمة، وجمع شمل هذه الطائفة بتجنّبِ العنفِ والمهاترات، ودعوة كل فئة لوجهةِ نظرها بالتي هي أحسن، مع احترام وجهة نظر الآخرين، وحُسنِ الظن بهم، فإنَّ ضرر شق الكلمة لا يعادله ضرر، ومحذورُ إلقاحِ الفتنة بين أفرادِ هذه الطائفةِ لا يعادله محذور ....وختم سماحته بقوله : بل نؤكد على ضرورةِ الالتزام بآداب المحاورة، واحترامِ وجهات النظر المختلفة، وحسنِ الظنِّ بالآخرين، ولمِّ الشعث، وجمعِ الشمل ، واللهُ سبحانه وتعالى من وراء القصد، ومنه نستمِدُّ العونَ والتسديدَ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس التحرير

التربية القرآنية .. وبناء الفكر القيّمي للإمام الحسين عليه السلام

د. محمد كاظم حسين الفتلاوي
كلية التربية / جامعة الكوفة

ينابيع

تساهم التربية مساهمةً فعّالةً في تخطيط، وتشكيل، وصنع شخصية الفرد، وتحديد صيغتها، فشخصيّة الفرد – في غالب الأحيان – هي نتاج صنع المربّي وصورة جهوده..

فالاستعدادات والقابليات الإنسانية تولد وهي طاقة حرّة غير متكيّفة، ولا متشكلة، فتتناولها يد المربّي، أباً كان أو أُماً أو معلّماً، فتتصرّف بها وتعمل على تشكيلها، وتخطيط بنيتها، وفق قيم وأهداف تربوية فكرية محدّدة، لذلك نشاهد الدول والأحزاب والمنظمات تحرص على توجيه وتربية الأفراد والجماعات تربية خاصّة ووفق منهج خاص.

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل عليهم السلام كلّها لبناء الفكر التربوي، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات لشخصية الإنسان.

إذ ما علمنا إن التربية هي (النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسياً وجمالياً وخلقياً، وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام)[1].

ونصوص القرآن الكريم حافلة بهذا النهج البنائي للإنسان، وهو ما سوف نلحظه من دور مميز في تكوين الشخصية المتزنة – وخصوصاً أثر الأسرة القرآنية في بناء الإنسان وفي شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفكره الرسالي[٢] – وهو محل البحث، ومن ذلك نلحظ أن العناية القرآنية في بناء الإنسان تبدأ منذ مرحلة الطفولة داخل الأسرة، فهي المرحلة التي فيها تشكيل الذات والشخصية[٣].

لذلك جاء تأكيد القرآن المجيد صريحاً للعناية بتربية النفس والأهل والأبناء، بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم:٦)، وذلك أن المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه، إذ إن البيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة، ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، والآية المباركة تربي الإنسان المؤمن على أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، واجبه أن يؤمّن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً.

وتترجم السنة النبوّية هذا المحتوى القرآني، وتؤكد أنّ التربية الصالحة حق

للولد على الوالد، فقد رُوي عَنْ أَبي الْحَسَن مُوسَى عليه السلام قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه مَا حَقُّ ابْنِي هَذَا؟! قَالَ صلى الله عليه وآله: تُحْسِنُ اسْمَه وأَدَبَه، وضَعْه مَوْضعاً حَسَناً)[٤].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بحبّ الصبيان وتقبيلهم ومداعبتهم، وكان هو نفسه يقبل ابنته فاطمة عليها السلام، وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام، ويداعبهما ليملأ نفس الصبي بالحب والحنان، ويبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور، فيشب الصبي سليم النفس، سوي السلوك، نظيف القلب.

فشخصية الإنسان تبدأ بالتشكُّل من خلال التأثر بالواقع الأسري، والجو الفكري والتربوي الذي يحيط به، والإمام الحسين عليه السلام عاش في كنف مُعلم الإنسانية الأول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد أولاه عنايته الخاصة ورعايته منذ صغره، فكان أن نهج الإمام عليه السلام في فكره وسلوكه نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلوكه القرآني.

وذلك أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يؤكد في حديث آخر أهمية التربية ودورها في البناء الفكري وفي تكييف الملكات والاستعدادات الفطرية، وأثرها في بناء الشخصية بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه، يُهوّدانه، أو ينّصرانه، أو يُمجّسانه)[٥].

ولأهمية هذه النشأة وأثرها في نفس الطفل داخل الأسرة، ما نلحظه في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام، فنشاهده واضحاً ومتجسداً وهو يخاطب ابنه بقوله: (...وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَث كَالأَرْض الْخَالِيَة مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْء قَبِلَتْه فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ)[٦].

فنفس الطفل وعقله واستعداداته إذن قابلة للنمو والتوجيه الذي تتلقاه، خيراً كان أو شراً، كما تتقبل الأرض البذرة، فتنمو في رحابها، بغض النظر عن خبثها أو طيبتها، ومن المعلوم بداهة دور القرآن المجيد في بناء فكر الإنسان، ومن ذلك الإمام الحسين عليه السلام إذ كانت التربية الأسرية القرآنية ذات أهمية بالغة في بناء الشخصية الإنسانية، وتكوين اتجاهها.

كما ونلحظ أثر القرآن المجيد على المجتمع من خلال ذلك البناء، القيمي الذي يُوقظ في الإنسان الفرد الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وذلك من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره، قال تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصافات: ٢٤)، فالإنسان مسؤول عمّا كان تحت تصرفه وكان قادراً على إحداث تغيير فيه ونفع فـ(في ذلك اليوم يتمّ السؤال عن كل شيء، عن العقائد وعن التوحيد والولاية، وعن الحديث والعمل، وعن النعم والمواهب التي وضعها الله سبحانه وتعالى في اختيار الإنسان)[٧]، وكيف كان موقفه اتجاهها ومن ذلك موقف الإنسان اتجاه الآخرين وهدايتهم إلى سواء السبيل.

ومن ذلك ما نلحظه في السنة الشريفة، قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (ألا كُلُّكُمْ رَاع وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّته ..)[٨]، ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)[٩].

والإمام الحسين عليه السلام وهو ابن الدوحة

المحمدية والنشأة القرآنية، كان واضحاً فيه الأثر القرآني وهو عدْل القرآن، فكان في خروجه على النظام الحاكم، جزءاً من مسؤوليته في الإصلاح، الإصلاح الذي يجعل الله تعالى مصدراً للسلطة الوحيدة في جهاز ذلك الحكم، ويعتبر الشعوب عياله وشعبه ويقيم الإمام أميناً على تنفيذ قوانينه، وحارساً لأحكامه ومسؤولاً بين يديه، يوزع على ضوء تلك القوانين حقوق الحياة السواء بين إخوان في الدين والإنسانية، وقد أعطى سيد الشهداء عليه السلام صورة رائعة عن ذلك في قوله: (فَلَعَمْرِي مَا الْإِمامُ إلاّ الْعامِلُ بِالْكِتابِ، وَالْآخِذُ بِالْقِسْطِ، وَالدّائِنُ بِالْحَقِّ، وَالْحابِسُ نَفْسَهُ عَلى ذاتِ اللّه)[١٠].

وكنظرة مقارنة، نجد أن المذاهب الاجتماعية الوضعية، بُنيت على أساس المسؤولية الفردية في هذه الحياة فحسب، وتأييدها بمؤيدات قانونية كحجز الحرية، أو التعذيب، أو التغريم المالي أو العزل عن الوظيفة، أو التسريح عن العمل، أو المكافأة بالمال أو الترقية في الوظيفة.. وما إلى ذلك، وبمؤيدات اجتماعية كالثقة أو حجبها والتقدير أو التحقير.

أما المذهب القرآني، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه في هذه الحياة، وإنما يُنمّي في الفرد المسؤولية العظمى أمام الخالق العظيم في حياة أخرى، وحينئذ يدفعه إلى التحديد الذاتي أو الطوعي لرغباته، والشعور الاجتماعي نحو غيره، بغض النظر عن القانون أو العرف أو الضمير، لأن الضمير قد يعجز عن مواجهة الغرائز عند فقدان العقيدة الدينية، كما أنه ليس من الميسور توفير الرقابة الاجتماعية في كلّ مكان، وبصورة دائمة، وعليه فإنّ هذه الرقابة الداخلية لا توجد في غير العقيدة الدينية.

كما أن الدعوة لدين الله ليست حرفة ولا مهنة، وإنما يقوم بها من يرى نفسه أهلاً لها لوجه الله وحده.. ولمصلحة الإنسانية دون غيرها.

وكذلك كانت آثار العقيدة الدينية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، يقول المفكر عباس محمود العقاد: (إن مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين عليه السلام لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنّه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشدّ الاعتقاد أنّ تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالأمة العربية قاطبة في حاضرها ومصيرها، لأنه مسلم، ولأنه سبط محمد صلى الله عليه وآله.. فمن كان إسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين عليه السلام هداية نفس وشرف بيت)[١١].

وقد تجلى مفهوم الرقابة الذاتية في فكر الإمام الحسين عليه السلام واضحاً في دعائه المعروف في يوم عرفة، إذ قال: (مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إلى دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إلَيْكَ؟ عَميَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً)[١٢]، وواضح أن هذه الرقابة لا يمكن أن تتحقق في غير الأثر القرآني، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجردة الميتة التي يؤمن بها الإنسان أن تعي تصرفات الناس، وتراقب حركاتهم وتصرفاتهم، وتحاسبهم على ذلك.

إذًا تعمل القيم القرآنية على بناء حياة الإنسان من خلال تقديم الخير وبذل التضحية، ومقاومة الانحراف لأنها ربانية

المصدر، والإيمان بها يستلزم العمل بها لأنها ضوابط وحوافز بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان، ولا شك أن القيم المستمدة من الأديان السماوية تعتبر السبيل إلى توجيه الإنسان إلى الخير العام.

والقيم القرآنية تسمو بالفرد وترفعه فوق الماديات الحسية من مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة بكل ما فيها من مثل ومبادئ ومعايير ومشاركة وجدانية، وهي في الوقت نفسه تعتبر عاملاً هاماً وفعالاً في ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وتوحيد وجهتهم، ومساعدتهم على تحديد هدفهم، والسعي الجاد للوصول إليه، هذه حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة هذه القيم والمعاني الكبيرة التي تحملها، وهي واضحة في كثير من النصوص القرآنية ولا يمكن تحقيق السعادة من دون اتخاذ هذه القيم طريقة ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً[١٣].

إذًا فالتربية الإسلامية وبنظرة موضوعية في مناهجها وموضوعاتها الإلهية والبشرية (تحقق جانبي القيمة الظاهرية، والباطنية، فهي تعنى بسلوك الفرد مع نفسه ومع الناس، وتحثه على أداء العبادات، وعلى طهارة القلب والنفس والجوارح وتمنحه الوازع الذي يدفعه إلى التضحية والفداء والصبر، وتقترب به في مثاليتها إلى جوانب الحق والخير والجمال، وتصل به في بعض مواقفها إلى سمو يرفعه فوق ترابيته، ويدنيه من عالم الروح، فهي إذن تربية تنشد الوصول إلى الخلق الكامل عند الفرد المسلم وتساعده بهذا البناء الخلقي على الاهتمام بالجسم والعقل والعمل)[١٤].

والتربية الإسلامية نمط خاص من التربية يتعهد المسلم بتغذيته روحياً وتنمي العواطف الإنسانية، والمشاعر الخلقية فيه[١٥].

وإذا أردنا أن نوضح بالأمثلة حقيقة كون القيم القرآنية ذات أثر تربوي وتمثل المعاقد التي تعقد بها الروابط الاجتماعية والفردية لتواردت علينا أمثلة كثيرة جداً.

إن قيم الصلاة من أهم أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، إذ لم يكن مؤدياً لها فحسب، بل مقيماً لها، وفي أضنك الظروف، وسوف نتخذ مثالاً يدل على أهمية فريضة الصلاة في حياته عليه السلام، ففي أرض كربلاء وفي ضراوة المعركة نلحظ أداء الصلاة وقيامها، (فلا يزال الرجل من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قد قتل فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم، قال فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للإمام الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي، فقال لهم الحصين بن تميم إنها لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت الصلاة من آل محمد صلى الله عليه وآله لا تقبل وتقبل

منك يا حمار..)[١٦].

هذا مثلٌ من أمثلة القيم القرآنية وبيان أثرها على الشخصية الإنسانية، وقد علمنا سلفاً معنى التربية، واتضح إنها مجموعة المؤثرات المعينة، التي تمتد إلى إحداث تغييرات لدى الأفراد، حتى يكتسبوا سمات الشخصية التي نتفق على اعتبار أنها قد تزودت بالخصائص التربوية.

إذ لا يكتمل إسلام المرء إلا بامتزاج التشريعات بالأخلاق، كامتزاج الروح بالجسد، فلا يُكتفى بالعقيدة والعبادة وتهجر التربية والأخلاق، وقد جمع الله عز وجل كل ذلك في قوله تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّه وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّه وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ١١٢)■

---

١) منهجية البحث في التربية الإسلامية، علي خليل أبو العينين، مجلة رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة، ١٩٨٨م، العدد٢٤، ص١١٠.

٢) ينظر الباحث إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام هنا على أنها شخصية إنسانية بعيداً عن التبني العقائدي الذي يرى فيه الإمام مفترض الطاعة ومعصوماً مسدداً من السماء وإن كانت هذه حقائق ثابتة لا غبار عليها .

٣) للتوسعة ظ: خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة، الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي.

٤) الكليني، الكافي، ٤٨/٦.

٥) صحيح البخاري/ ٤٦ ٥/١.

٦) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ٤٠/٣.

٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي/ ٢٢٢/١٤.

٨) مسلم، صحيح مسلم، ١٤٥٩/٣.

٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٨٠/٢.

١٠) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ص٣٩.

١١) أبو الشهداء الحسين بن علي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، تحقيق: محمد جاسم الساعدي/ ص٢٠٦.

١٢) بحار الأنوار، المجلسي/ ٢٢٦/٩٥.

١٣) ظ: التربية الأخلاقية والإسلامية، مقداد بالجن/ص١٠٩.

١٤) طرق تدريس التربية الإسلامية، عبد العزيز عبد الرشيد سالم/ص٢٥٣.

١٥) ظ: فلسفتنا/ محمد باقر الصدر /ص٤٨.

١٦) تاريخ الأمم والملوك/ الطبري/ ٣٣٤/٤، ظ: الكامل في التاريخ/ابن الأثير/ ٧٠/٤.

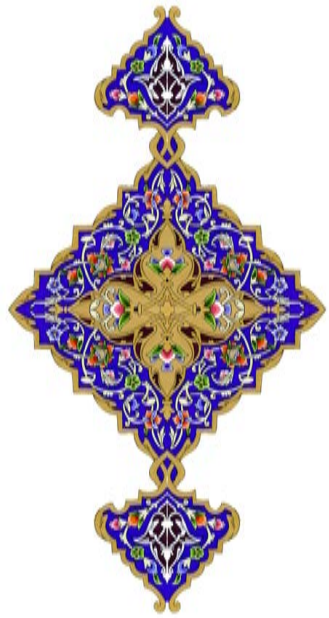

نهضة الإمام الحسين عليه السلام بين الشعار والواقع

السيد علي الدزفولي
باحث وكاتب إسلامي

ينابيع كانت قضية الإمام الحسين عليه السلام وما زالت وستبقى عصية على إحاطة العقول بها واستيعاب الأفهام لها، فالتأمل فيها أوقع الجميع في الدهشة والحيرة، حيث نرى عشاقه متأملين في أبعادها ولكنهم لم يصلوا إلى أسرارها خصوصًا عند النظر إلى هذه النهضة من جهة شعاراتها وواقعها.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام بين الشعار والواقع

أولاً ـ تصوير الإشكالية:

حملت واقعة الطف الكثير من الشعارات والخطابات والكلمات سواء التي جاءت على لسان قائدها الأعظم الإمام الحسين عليه السلام أو التي جاءت على لسان أتباعه من بداية الواقعة إلى نهايتها بل حتى ما بعد النهاية، ومحتوى الكثير منها بيان الأسباب التي كانت وراء النهضة والغايات التي يراد لها أن تتحقق فيما بعد النهضة، ونشير إلى بعض المقاطع منها:

(١) جواب الإمام الحسين عليه السلام لوالي المدينة الوليد عندما عرض عليه البيعة حيث قال له الإمام عليه السلام: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[١].

(٢) وقوله في بعض كلامه:

* أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لا يُعْمَلُ به، وَأَنَّ الْباطِلَ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمؤْمِنُ في لقاءِ اللّه مُحِقّاً، فَإِنّي لا أَرى الْمَوْتَ إلاّ سَعادَةً [شَهادَةً]، وَلاَ الْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلاّ بَرَماً[٢].

* وقوله عليه السلام: (ألا وإنَّ الدَّعيَّ ابْنَ الدَّعيّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْن، بَيْنَ السِّلَة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ مِنّا الذلة، يأبَى اللّه لَنا ذلكَ وَرَسُولُهُ والمؤمنون، وَجُدُودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، من أن نؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الْكِرام، أَلا إنّي زاحِفٌ بهذه الأُسْرَة مع قِلَّة الْعَدد، وكثرة العدو وَخَذْلَة الناصر)[٣].

* وقال عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (وَأَنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً، وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً، وَلا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب عليه السلام، فَمَنْ قَبِلَني بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللّه أَوْلى بِالْحَقِّ،

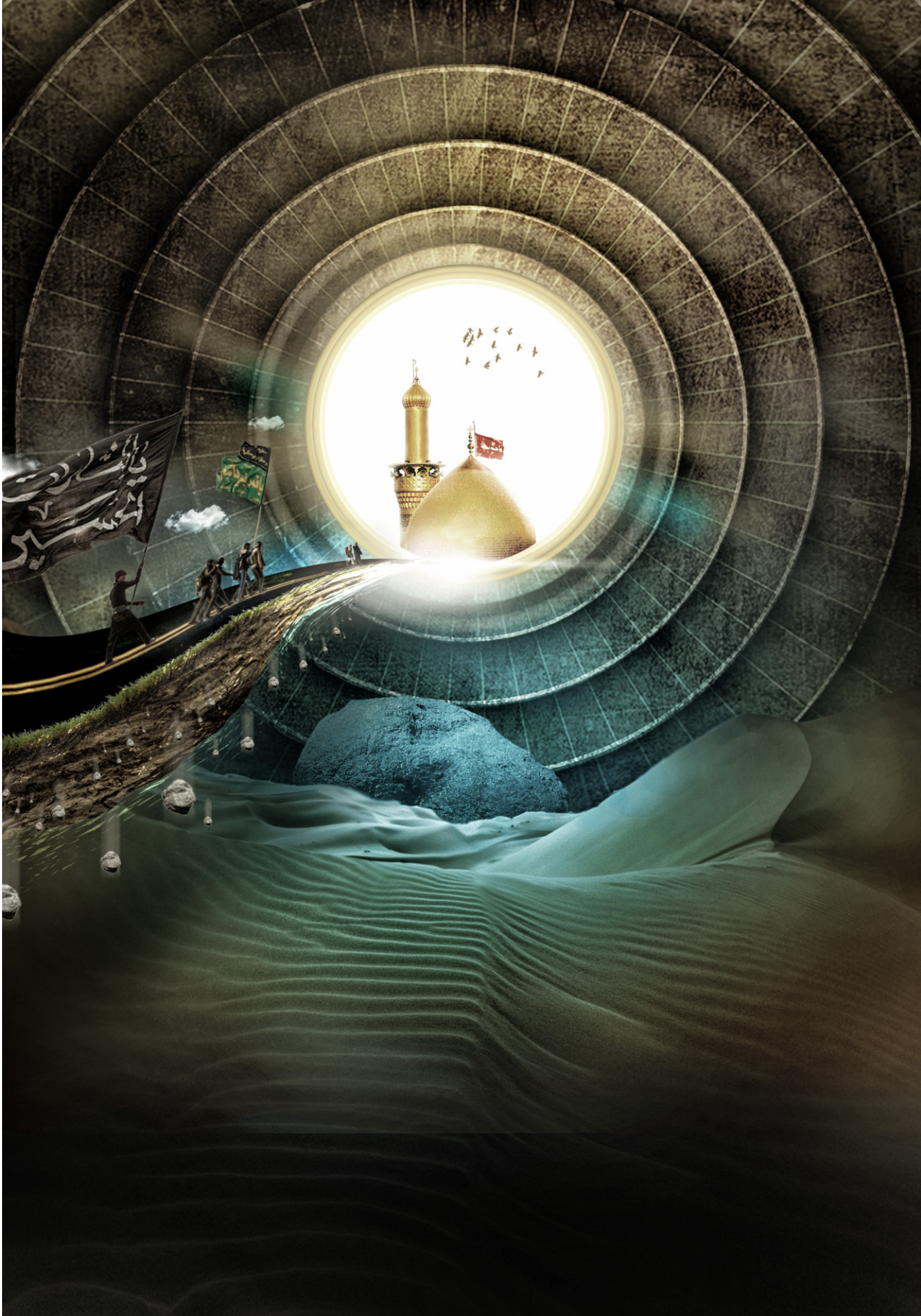

وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضيَ اللّه بَيْني وَبَيْنَ الْقَوم بالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكمينَ، وَهذه وَصيَّتي يا أَخي إلَيْكَ، وَما تَوْفيقي إلاّ باللّهَ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإلَيْه أُنيبُ)[٤].

هذه بعض الأمثلة وهناك الكثير مما جرى ذكره في طريقه إلى كربلاء، وفي كربلاء قبل يوم المأساة، وفي يومها مما هي معروفة ومعلومة لدى الجميع، وليس المقام لجمعها واستقصائها.

وعموماً هناك خطابات ومقالات وشعارات انتشرت عن هذا القائد والأتباع ولكن القدر لم يكتب لهم البقاء والنصر العسكري، فسرعان ما انتهت القصة وختمت الواقعة برحيل الثائر والأنصار. وهنا تأتي الإشكالية على شكل التساؤل التالي:

ما هي الضمانات والمؤشرات التي تطمئن المراقب لتلك الواقعة بأن الشعارات المرفوعة والخطابات المتعددة سوف تنزل إلى ميدان التطبيق وتمارس بحذافيرها لو استلم هذا القائد زمام الأمر ومقاليد السلطة؟ فلعلها تبقى حبيسة الحناجر وأبواق الإعلام، كما تعيش اليوم وعاشت من قبلنا ثورات وحركات متنوعة، ولكنها بعد أن تنتصر تنقلب على تلك المبادئ والشعارات المرفوعة، ومن ثم يتركز التساؤل عن الميزة التي ميزت واقعة الطف عن كل الوقائع، حيث أننا لا نتردد في حسم الموقف منها ومن قائدها وأنصاره. ولو كنا موضوعيين في النظرة ومتجردين في الفكرة لأعدنا النظر فيما نتبنى، وقلنا لعل ما رفع من شعار وخطاب ومبدأ لا يرى النور ولا ينتشر الإصلاح الموعود ولقتلت الثورة أبناءها كما في كثير من الثورات. هذا حاصل الإشكالية، ونعيده بعبارة مختصرة: ما هي المنطلقات والمعايير التي يمكننا من خلالها الحكم على تميز واقعة الطف عن كل الوقائع؟ وأن القائد والأنصار فيها لو ظفروا وانتصروا لوفوا بما تعهدوا ووعدوا؟.

ثانياً ـ إثارة منهجية قبل الإجابة:

لابد لنا في كل إشكالية تواجهنا في وادي المعرفة الدينية وملابساتها أن نقوم بتحديد هوية المستشكل وانتمائه، فهل هو من المنتمين للمذهب والمنهج الذي بنينا عليه معتقداتنا، أو من المنتمين لغيرنا، وذلك لأن لكل منهما آليات وأدوات وخطاب يخصه في الإثبات والنفي، ولا ينبغي لنا خلط الأوراق كما نبتلي بذلك المنهج اليوم من بعض المحاضرين أو الكتاب أو عموم المنتمين، حيث يعمم الخاص أو يخصص العام على مستوى التفكير أو السلوك، وينشأ اللبس وتزداد القضية غموضاً وتعقيداً ويبدأ التكفير والتخريف والتحريف. ولكن عموماً لنفترض صدور الإشكالية من المنتمي أو اللامنتمي فكيف ستتم الإجابة؟

وهنا تصل نوبة الإجابة ولنبدأ بإجابة المنتمي لقصر الجواب وسهولة الحل ثم نعطف بالإجابة على اللامنتمي.

جواب المنتمي (الشيعي):

أيها المنتمي الشيعي لو سألناك ما معنى التشيع؟ وكيف آمنت به مذهباً وطريقاً إلى الدين والارتباط بالله تعالى؟

والجواب بوضوح: أن التشيع على مستوى العقيدة عبارة عن مجموعة من الاعتقادات بجملة من الأصول التي تسمى بأصول الدين والمذهب، ومنها الإمامة والعصمة، والإمام الحسين عليه السلام هو أحد

الشخوص نالته الإمامة والعصمة وغيرها من المقامات الشريفة.

والإيمان بتلك الأصول والتطبيقات مما قام عليه العقل والنقل، وليس قضية مبنية على الظنون والمنامات والخيرة والمذاقات الشخصية.

ومن لوازم العصمة أو من خصائص العصمة أنها ثابتة للإمام الحسين عليه السلام طيلة حياته سواء قام بالنهضة أم لم يقم، وبعد القيام انتصر عسكرياً أم خذلته الأمة، المهم أن العصمة مستمرة وثابتة ولو انتصر عسكرياً واستلم زمام الأمور لغيّر الدنيا وما غيّرته ولقلبها وما قلبته.

وبالتالي فإن السؤال لا يكون ذا قيمة والإشكالية السابقة لا تكون مبررة من الشيعي ما دام شيعياً.

جواب غير المنتمي:

أما لو صدر التساؤل من غير المنتمي ففي مقام الجواب هناك طريقتان:

الأولى: أن نأتي له بمقولاتنا وعقائدنا الأصيلة والأصلية ونبرهن عليها شيئاً فشيئاً إلى أن نوصله إلى التسليم بالإمامة والعصمة وملابساتها وتنتهي القصة، وهذه الطريقة لا تتم إلا عبر الأروقة التخصصية ولنسمها المعرفة التدريجية.

الثانية: أن نلجأ إلى استخدام المعايير الفطرية والعقلائية والعرفية العامة والواضحة والتي تنبه على الإيمان ببعض القضايا أو رفضها، وطبعاً هذه قد لا تستغرق وقتاً طويلاً ولا تستدعي تخصصاً عالياً بل في متناول الجميع ولنسمها المعرفة الآنية والدفعية، وعموماً فإن الطريقة التي سيتم اتباعها في الإجابة هي الثانية.

الإجابة للامنتمي بالطريقة الثانية:

وحاصلها: لا شك أن هناك معايير ومنطلقات إنسانية عامة وواضحة سواء كانت مصرحاً بها أو مرتكزة في النفوس يتم على ضوئها تقييم الحركات والثورات والمشاريع الفردية أو الجماعية فإن توفرت القضية على تلك المبادئ والمعايير يتم قبولها والتفاعل معها وإلا يتم رفضها ومقاطعتها، وهنا نشير إلى بعضها مع تطبيقاتها على قضية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة لنعرف كيف أنه عليه السلام توفر في حركته على أعلى درجات المبادئ والمصداقية والنزاهة والشرف.

وهي كالتالي:

(١) تاريخ الثائر قبل ثورته وحركته:

لا شك أن تاريخ الشخص قبل إعلان أي مشروع يقوم به ودراسة ما كان عليه من مواقف وكم كان مبدئياً مراعياً للمصالح العامة والقيم والمثل والمبادئ في عموم حركته وسلوكياته من المنطلقات الهامة المؤثرة بمصداقيته وباعثة على الاطمئنان بنزاهته وسلامة حركته.

وعندما نأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام لنقرأ تاريخه قبل إعلان حركته وواقعته فسنجده تاريخاً مليئاً بالنقاوة والفضيلة ومراعاة للمباديء والقيم والمصالح العليا للمجتمع الإنساني الذي عاش فيه، وقد ثبت ذلك بشهادة العدو والصديق والقريب والبعيد فصار أشهر من أن يذكر وأكبر من أن ينسى.

(٢) ما بعد الحركة والنهضة، وهنا توجد عدة معايير نذكر بعضها:

أ ـ أسباب النهضة وخلفيات الحركة:

لا يتردد أحد في دور التعرف على الأسباب والخلفيات ومدى واقعيتها

وآثارها على الأمة في تقييد مصداقية الثائر وعمق مشروعه وأهمية حركته. وعند العودة إلى الأسباب التي كانت وراء نهضة الإمام الحسين عليه السلام فإن الحديث يتشعب ويتعقد ولكن نشير على نحو الاختصار إلى بعض الخلفيات والواقع الذي كانت تعيشه الأمة والمجتمع ومدى حاجتهما للإصلاح.

وهنا التاريخ يحدثنا عن البيئة والدولة التي كان الإمام عليه السلام يعيش فيها هو وأتباعه، فقد كانت الدولة تعيش التردي والانحراف على جميع المستويات فالفساد أخذ منها كل مأخذ وانتهاك الحقوق والحريات وسحق المبادئ والواجبات صار الملمح العام والطابع الملتصق بها إلى أن وصل تسليم الأمر إلى شخص لا يعرف للحق طريقاً وللقيم مسلكاً بل تجده منغمساً بين شهواته وخمره وأريد له أن يتسلم زمام الأمور ويسيطر على مصالح الناس والبلاد وهو يزيد بن معاوية (لعنه الله) وهنا تتأكد الانتفاضة وتستدعي الأمور من المصلحين أن يقفوا بوجه الفساد ويقاطعوا الانحراف.

في حينها وقف سيد المصلحين الإمام الحسين عليه السلام بوجه ذلك الوضع ليكشف زيفه وانحرافه ويعيد القيم والمبادئ إلى موقعها الصحيح وهذا التحرك والانتفاض يعد مؤشراً آخر يطمئن الناضرين بنقاوة الثائر ونزاهته لأنه لو كان منحرفاً لدخل في أروقة السلطان وحافظ على وجوده وعلاقته به من عصره وخصوصاً أن الطاغوت في حينه عرض البيعة عليه ولو قبل بها لكان الأمر مختلفاً.

ب ـ الآليات والوسائل التي استثمرها الثائر في المشروع.

لا يخفى على المراقب لأي حركة أو مشروع مدى أهمية الأدوات والوسائل التي يستخدمها الثائر أو صاحب أي مشروع إصلاحي عام في الكشف عن مصداقيته ونزاهة حركته ونشير إلى بعضها مع تطبيقها مباشرة على حركة الإمام الحسين عليه السلام:

(١) إعلان الحركة على ضوء مراسلات ومناشدات من أهل الكوفة وعدم فرض النهضة على الأمة فرضاً.

(٢) إعلان النهضة في مكان عام وزمان عام مما يكشف عن ارتباط القضية بالجميع وإن فيها مصالح الناس والحفاظ على قيمهم وبشريتهم وديانتهم.

(٣) عدم اتخاذ الأماكن الآمنة وذات الرمزية العالية كمكان للنهضة.

(٤) عدم استخدام المال العام وممتلكات الناس في الدعوة إلى المشروع.

(٥) عدم إعطاء الوعود الكبيرة والإغراءات المادية والمناصب السلطوية، بل من البداية أعلن أن المصير هو القتل.

(٦) تذويب العنصريات والقوميات في الدعوة والاستنفار، حيث لم يتم الاقتصار على بني هاشم أو العرب أو المسلمين أو الموالي بل تم عرض القضية على الجميع منذ إعلانها وفي أثناء طريق المسير وحتى مع الأعداء.

ج ـ الغاية التي يقدمها الثائر:

وهي من المعايير الضرورية في الكشف عن مدى عمقه ومسؤوليته في حركته والإمام عليه السلام أعلن أن الغاية هي (الإصلاح) لكل المفاسد التي كانت في عصره.

د ـ الأخلاقية والإنسانية مع العدو والصديق:

إن من أعظم الاختبارات والمقاسات التي تكشف زيف المصلح من حقيقته وأحقيته وفساده من نقائه وطهره، هو

مراقبة أخلاقه وإنسانيته في المواقف الشديدة وساعات المحنة، فإن بقي كما هو في الرخاء كان من الصادقين حقاً، وإلّا فهو ممن يرفع الشعار في الرخاء ويسحقه في الضراء.

وهنا نعود إلى إمامنا الحسين عليه السلام وكيف كان تعامله مع الأعداء فضلاً عن الأقرباء والأصدقاء؟ إنه كان فريداً ووحيداً في هذا الباب حيث صدرت منه قيم وأخلاق لا يتوقع أن تصدر من بشر مهما جل وعظم وهذا يدلنا وبوضوح ومن دون أدنى ريب على مصداقية هذا المصلح وعمق مبدئيته وعلو نفسه وكبر همته . ونسوق لذلك بعض الأمثلة:

(١) سقى الجيش الخارج لحربه مع خيلهم وإبلهم في الحادثة المعروفة مع الحرّ بن يزيد الرّياحي[٥].

(٢) عدم الابتداء بقتال يوم عاشوراء وقبله ونهي أحد أصحابه وهو مسلم بن عوسجة عن ابتدائهم بالقتال[٦].

(٣) وعظ الأعداء والتأكيد على نصحهم في الخطب والحوارات ومنها ما جرى بينه وبين ابن سعد (لعنه الله) حيث قال له الإمام عليه السلام: (ويحك يا ابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني وأنا ابن من علمت؟ يا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله عزّ وجلّ. فأجابه عمر بن سعد: أبا عبدالله أخاف أن تهدم داري فقال له الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك، فقال أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فلم يجبه عمر إلى شيء من ذلك)[٧].

هـ ـ ماذا قدم وماذا أخذ؟ وكيف كانت النهاية؟

من الضروري جداً مراقبة أصحاب الحركات والمشاريع ومدى استفادتهم الشخصية ومدى استفادة الناس والمجتمع منهم، فإن كانت المصالح الشخصية والمنافع الذاتية أكبر فصاحب المشروع لا يصلح للأمة قائداً ولا ينبغي اتباعه واختياره مصلحاً وقائداً، والعكس بالعكس، وأما إمامنا الحسين عليه السلام فماذا قدم للأمة وماذا أخذ من الأمة؟

الإمام قدم للأمة كل شيء ولم يأخذ منها أيّ شيء، فقد قدم من أجل مبدئه وقيمه ومثله والإصلاح الذي خرج من أجله أبناءه وإخوانه واقرباءه وعموم عائلته حتى الطفل الرضيع، وأعز أصحابه، حتى وصل الأمر إليه فبعد أن قدم الجميع أمامه ختمها بالتضحية والفداء بنفسه، وبذا سطر أكبر ملحمة بالدماء في يوم عاشوراء. والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وبهذا ننتهي من ذكر المعايير والقيم الكاشفة عن مصداقية الثائر ونزاهته وماذا ينتظر المراقب بعدها؟

فبداية مفعمة بالنقاء ونهاية مضمخة بالدماء وما بينها نزاهة وأخلاق ورعاية للقيم والمثل فهل يتوقف أحد في مصداقيته ونزاهته؟ سلام الله عليه واللعن على أعدائه وقاتليه إلى يوم الدين■

---

١) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس/ص٤٠.
٢) مثير الأحزان/ابن نما الحلي/ص٣١.
٣) م.ن/ص٤٠.
٤) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٤ص٣٣٠.
٥) ينظر:الإرشاد/الشيخ المفيد/ص٧٨.
٦) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٥ص٥.
٧) الفتوح/ابن أعثم الكوفي/ج٥ص٩٢.

كرامات الإمام الحسين عليه السلام من طرق العامة

د. علي عبد الزهرة الفحام
جامعة الكوفة

ينابيع استفاضت كتب الحديث والتاريخ بذكر روايات التغيرات الكونية التي رافقت حادثة استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ، ولعل السبب في كثرة الرواة، وتعدد الطرق، لمثل هذه الوقائع هو تكرار وقوعها في مناطق مختلفة، وعلى فترات زمنية متعددة، ولا سيما في بلاد الشام، والكوفة، والمدينة، وغيرها من الحواضر الإسلامية لتشكل دليلاً تكوينياً على مظلومية سيد الشهداء عليه السلام، وعلى ظلم وانحراف بني أمية ومن شايعهم ووالاهم ورضي بفعلهم، وهي – في الوقت نفسه – إشارة إلى تبني رب العزة

(تبارك وتعالى) لدم الإمام الحسين عليه السلام، الذي نخاطبه في الزيارات الشريفة بأنه (ثار الله وابن ثاره).

رواية الزهري

وردت الرواية عن إمام المخالفين وثقتهم (محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب والزهري) وهو من كبار الثقات، بل رائد علم الحديث والرواة عند القوم، بأنه لم يرفع حجر بالشام (أو بيت المقدس) إلا وجد تحته دم عبيط، وقد رويت بثمانية طرق اثنان منهما صحيحان، والباقي ضعيف بموازينهم الرجالية العرجاء، وهذه الطرق الضعيفة تصلح كشواهد لتقوية الرواية:

الطريق الأول: تهذيب الكمال ٦\٤٣٤: وقال [يعقوب بن سفيان الفارسي (ثقة مصنف خير صالح)]: حدثنا سليمان بن حرب (من رجال الصحيح)، قال: حدثنا حماد بن زيد (ثقة ثبت فقيه)، عن معمر (ثقة)، قال: (أول ما عرف الزهري تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك، فقال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي ؟ ، فقال الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط) .

أقول: المشهور أن ذلك في مجلس عبد الملك بن مروان، وقد روى هذه الرواية بالسند نفسه السيد ابن طاووس في الملاحم (وهو متقدم على المزي) ونسبه إلى عبد الملك فتأمل .

الطريق الثاني: الطبراني في معجمه الكبير ٣\١١٣: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي (ثقة) ثنا محمد بن المثنى (من رجال الصحيح) ثنا الضحاك بن مخلد (من رجال الصحيح) عن ابن جريج (من

رجال الصحيح) عن ابن شهاب (من رجال الصحيح) قال: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم رضي الله عنه .

الطريق الثالث: عن الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي أنا هشيم ثنا أبو معشر عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص(مجهول) عن الزهري قال: قال لي عبد الملك بن مروان: أي واحد أنت إن أخبرتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين بن علي قال قلت لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط. فقال عبد الملك: إني وإياك في هذا الحديث لقرينان.

أقول: هذا الطريق وثقه الهيثمي في مجمع الزوائد ولعله وهم منه، وهو يصلح شاهداً لأن رجاله ثقات لولا جهالة (محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص).

الطريق الرابع: الطبراني ٣\١١٣ في الكبير: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي (ثقة) ثنا يزيد بن مهران أبو خالد (ثقة) ثنا أسباط بن محمد (ثقة) عن أبي بكر الهذلي (ضعيف) عن الزهري قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه لم يرفع حجر ببيت المقدس إلا وجد دم عبيط.

الطريق الخامس: ابن عبد ربه في (العقد الفريد) (ج ٢ ص ٢٢٠) بسنده قال الزهري: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب . وفي رواية علي بن عبد العزيز، عن إبراهيم بن عبد الله، عن أبي معشر، عن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن العاص، عن الزهري أنه قال: الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن علي، قال الزهري: نعم، فقلت: حدثني فلان لم يسمه أنه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل علي بن أبي طالب والحسين بن علي حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط، قال عبد الملك: صدقت حدثني الذي حدثك وإني وإياك في هذا الحديث لغريبان.

الطريق السادس: أنقله عن المرعشي في شرح إحقاق الحق الذي ينقله عن العلامة أبي العرب محمد بن أحمد التميمي في (المحن/ص٤٠) بسنده عن الزهري قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وهو في القبة فقال لي: استدر من وراء السجف فاستدرت فقال: أتدري ما حدث في الأرض يوم قتل الحسين ؟ قلت: نعم . قال: لم يقلب حجر ولم يكشف إناء ببيت المقدس إلا أصابوا تحته دمًا عبيطاً.

الطريق السابع: أنقله أيضاً عن العلامة المرعشي عن العلامة أبي العرب محمد بن أحمد المالكي المغربي في (المحن/ص ١٤٠) بسنده عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشي (من رجال الصحيح)، عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، قال: قال لي عبد الملك بن مروان: أي واحد أنت إن أخبرتني بالعلامة التي قتل فيها علي بن أبي طالب، فقلت: نعم، لم ترفع في تلك الليلة حصاة في بيت المقدس إلا تحتها دم عبيط .

قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣\١١٣ بسند آخر عن الزهري إلا أنه نسبه لقتل علي بن أبي طالب عليه السلام فلعله وهم، أو أن الزهري كان يقصد الليلتين معاً ليلة قتل علي وليلة قتل الحسين ويؤيد ذلك رواية العقد الفريد المذكورة آنفاً .

شواهد الرواية من طرق الشيعة

* كامل الزيارات ١٦١: حدثنا أبو

الحسين محمد بن عبد الله بن علي الناقد بإسناده، قال: قال عمر بن سعد، قال: حدثني أبو معشر، عن الزهري، قال: لما قتل الحسين عليه السلام لم يبق في بيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط .

كامل الزيارات ١٥٨: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن رجل، عن يحيى بن بشير، قال: سمعت أبا بصير يقول:، قال أبو عبد الله عليه السلام: بعث هشام بن عبد الملك إلى أبي فأشخصه إلى الشام ... إلى أن قال: فقال هشام: أخبرني عن الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب عليه السلام بما استدل به الغائب عن المصر الذي قتل فيه على قتله وما العلامة فيه للناس، فإن علمت ذلك وأجبت فأخبرني هل كانت تلك العلامة لغير علي عليه السلام في قتله، فقال له أبي: يا أمير المؤمنين إنه لما كان تلك الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر.....، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها الحسين بن علي عليه السلام.

* مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ٢\٢٦٦: عن ابن شهاب قال: لما قتل الحسين بن علي لم يرفع في الشام حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

* أمالي الصدوق ٣٢١: عن فاطمة بنت علي: ثم إن يزيد (لعنه الله) أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليه السلام في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط.

* مثير الأحزان لابن نما الحلي ٦٣: قال البلاذري في مختاره: مطرت السماء دمًا يوم قتله وما قلع حجر بالشام إلا وتحته دم عبيط.

* مدينة المعاجز ٤\١٨٧: وعن الشافعي أنه قال: ما رفع حجر في الدنيا يوم قتل الحسين ـ ع- إلا وجد تحته دم عبيط، ولقد قطرت السماء يوم قتله دما حتى بقي أثره على النبات حتى فنى.

الرواية من غير طريق الزهري

وقد رويت هذه الكرامة العظيمة لسيد الشهداء في كتب العامة من غير طريق الزهري:

[١]: تهذيب الكمال: وقال يعقوب بن سفيان الفارسي (ثقة مصنف خير صالح): حدثني أيوب بن محمد الرقي (ثقة)، قال: حدثنا سلام بن سليمان الثقفي (ضعيف)، عن زيد بن عمرو الكندي (مجهول)، قال: حدثتني أم حيان، قالت: يوم قتل الحسين أظلمت علينا ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئًا فجعله على وجهه إلا احترق ولم يقلب حجرًا ببيت المقدس إلا أصيب تحته دم عبيط.

[٢] تاريخ دمشق ١٤\٢٢٦: بسنده عن عاصم الكلابي (صدوق في حفظه شيء) نا خلاد صاحب السمسم وكان ينزل بني جحدر قال: حدثتني أمي قالت: كنا زمانا بعد مقتل الحسين وأن الشمس تطلع محمرة على الحيطان والجدر بالغداة والعشي، قالت: وكانوا لا يرفعون حجراً إلا وجد تحته دم.

[٣] تاريخ دمشق ١٤\٢٢٩: بسنده عن محمد بن سعد (ثقة) أنا محمد بن عمر (هو الواقدي وكان عمدة في التاريخ) حدثني عمر بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه

(صدوق) قال أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة قال ابن رأس الجالوت ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

احمرار السماء لمقتل الحسين عليه السلام

* مجمع الزوائد الزوائد ٩\١٩٦: (عن أم حكيم قالت: قتل الحسين وأنا يومئذ جويرية فمكثت السماء أياما مثل العلقة . رواه الطبراني ورجاله إلى أم حكيم رجال الصحيح).

* روى الذهبي في تاريخ الإسلام ٥\١٤ قال: (قال [أبو الحسن] المدائني (صدوق)، عن علي بن مدرك (ثقة من رجال الصحيح)، عن جده الأسود بن قيس (من رجال الصحيح) قال: احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر، يرى فيها كالدم ... وقال هشام بن حسان (من رجال الصحيح)، عن ابن سيرين (من رجال الصحيح) قال: تعلم هذه الحمرة في الأفق مم؟ هو من يوم قتل الحسين).

وذكره المزي في تهذيب الكمال ٦\٤٣٢: وقال علي بن محمد المدائني، عن علي بن مدرك، عن جده الأسود بن قيس: احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين بستة أشهر، نرى ذلك في آفاق السماء كأنها الدم. قال: فحدثت بذلك شريكًا، فقال لي: ما أنت من الأسود ؟ ، قلت: هو جدي أبو أمي قال: أمَ واللّٰه إن كان لصدوق الحديث، عظيم الأمانة، مكرمًا للضيف .

والحديث مشهور ذكره جل المفسرين من العامة وأرسله بعضهم إرسال المسلمات:

* تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١٠\٣٢٨٩: عن عبيد المكتب عن إبراهيم رضي اللّٰه عنه قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا، إلا على اثنين. قيل لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن ؟ قال: ذاك مقامه وحيث يصعد عمله. قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قال: لا . قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل، احمرت السماء وقطرت دمًا. وأن حسين بن علي يوم قتل احمرت السماء.

* تفسير الثعلبي ٨\٣٥٣: حدثنا خالد بن خداش، عن حماد بن زيد، عن هشام، عن محمد بن سيرين . قال: أخبرونا إن الحمرة التي مع الشفق لم تكن، حتى قتل الحسين. ح . أخبرنا ابن بكر الخوارزمي، حدثنا أبو العياض الدعولي، حدثنا أبي بكر بن أبي خثيمة، وبه عن أبي خثيمة، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا سليم القاضي، قال: مطرنا دمًا أيام قتل الحسين.

* تفسير السمعاني ٥\١٢٧: وعن بعض التابعين: أن الحسين بن علي رضي اللّٰه عنهما لما قتل احمرت أطراف السماء أربعين صباحًا، وكان ذلك لبكائها عليه .

* تفسير العز بن عبد السلام ٣\٣٧٠: ولما قتل الحسين - رضي اللّٰه تعالى عنه - احمرت له آفاق السماء أربعة أشهر واحمرارها بكاؤها، أو يظهر منها ما يدل على الحزن والأسف .

* تفسير القرطبي ١٦\١٤١: وقد تقدم في " سبحان " عن قرة بن خالد (ثقة بصري ضابط) قال: ما بكت السماء على أحد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي، وحمرتها بكاؤها .

* جامع البيان للطبري ٢٥\١٦٠: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن الحكم بن

ظهير، عن السدي قال: لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها.

* نظم درر السمطين الزرندي الحنفي ص٢٢٢: وقال أبو سعيد: ما رفع حجر في الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دمًا بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

* تفسير ابن كثير ١٥٤\٤: وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمر وزنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد، قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر. قال يزيد واحمرارها بكاؤها. وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضًا في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة.

أقول: هذه الأسانيد وإن كان بعضها ضعيفاً إلا إني جئت بها شواهد لتقوية الطرق القوية وبيان اتفاق المفسرين على روايتها.

مطر السماء دماً

* سير أعلام النبلاء ٣١٢\٣-٣١٣: الفسوي (ثقة): حدثنا مسلم بن إبراهيم (ثقة مأمون ت سنة ٢٢٢) قال: حدثتنا أم سوق العبدية (مجهولة)، قالت: حدثتني نضرة الأزدية (ثقة)، قالت: لما أن قتل الحسين، مطرت السماء [دماً]، فأصبحت وكل شيء لنا ملآن دمًا.

جعفر بن سليمان الضبعي (صدوق زاهد يتشيع): حدثتني خالتي قالت: لما قتل الحسين، مطرنا مطراً كالدم.

* ابن أبي طيفور في بلاغات النساء ص٢٤: في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة: (أفعجبتم أن قطرت السماء دماً، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ..).

ومن طريق أهل البيت ما رواه الصدوق في أماليه ص١٩٢ قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه (رحمه الله)، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام ... إلى قوله عليه السلام: يا بن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليه السلام: أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام، مطرت السماء دمًا وترابًا أحمر.

* تحول الورس إلى رماد

* سير أعلام النبلاء ٣١٣\٣: عن يحيى بن معين (ثقة): حدثنا جرير (ثقة)، عن يزيد بن أبي زياد (صدوق تغير حفظه)، قال: قتل الحسين ولي أربع عشرة سنة، وصار الورس الذي كان في عسكرهم رماداً، واحمرت آفاق السماء، ونحروا ناقة في عسكرهم، فكانوا يرون في لحمها النيران. [وعن] ابن عيينة (ثقة): حدثتني جدتي قالت: لقد رأيت الورس عاد رماداً، ولقد رأيت اللحم كأن فيه النار حين قتل الحسين. [وعن] حماد بن زيد (ثقة): حدثني جميل بن مرة (ثقة)، قال: أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل، فطبخوا منها، فصارت كالعلقم.

* المعجم الكبير ١٢١\٣: بسنده عن أبي حميد الطحان قال كنت في خزاعة فجاؤوا بشيء من تركة الحسين فقيل لهم ننحر أو نبيع فنقسم قال انحروا قال فجلس على جفنه فلما وضعت فارت ناراً. وحدثنا زكريا بن يحيى الساجي (ثقة) ثنا إسماعيل بن موسى السدي (ثقة) ثنا ذويد [أو دويد]

الجعفي عن أبيه (مجهولان) قال لما قتل الحسين رضي الله عنه انتهب جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم فأكفؤها.

أقول: هذا الإسناد وثقه الهيثمي في الزوائد، والورس هو فحل الإبل، الورس نبات أصفر، وقيل أخمر، يستعمل لصبغ الثياب . [راجع لسان العرب: ٣٢١/١٤]..

عاقبة إهانة القبر الشريف

* مجمع الزوائد ١٩٧\٩ . وعن الأعمش قال: خرى رجل على قبر الحسين فأصاب أهل ذلك البيت خبل وجنون وجذام وبرص وفقر. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

عاقبة من سب الحسين عليه السلام

روى الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٦\٩: (عن أبي رجاء العطاردي قال: لا تسبوا علياً ولا أحداً من أهل البيت فإن جاراً لنا من بلهجيم (محلة بالبصرة) قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله، فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

نوح الجن على الحسين عليه السلام

* مجمع الزوائد ١٩٩\٩: عن أم سلمة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وعن ميمونة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الإخبار باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام

* عن جبلة المكيَّة، قالت: سمعت ميثمًا التمار رضي الله عنه يقول: والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جو السماء، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، ومؤمنو الإنس والجن، وجميع ملائكة السماوات، ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دمًا ورمادًا. ثم قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام، كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي عليه السلام يوم بركة ؟! فبكى ميثم رضي الله عنه، ثم قال سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود عليه السلام، وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من بطن الحوت، وإنما أخرجه الله تعالى من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وإنما كان ذلك في ربيع الأول.

ثم قال ميثم: يا جبلة، اعلمي أن الحسين بن علي عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة. يا جبلة، إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط، فاعلمي أن سيدك ال الحسين قد قتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم، فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، فصحت حينئذ وبكيت، وقلت: قد والله قتل سيدنا الحسين بن علي عليه السلام.

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٩٠).

لغة المقارنة في كلام الإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام
كلية التربية الأساس/ جامعة الكوفة

أولًا: مفارقة الأضداد:

إنّ لغة المقارنة التي أعنيها هي لغة الأقدار المتضادة وليست لغة الأنداد والأكفاء، فهذا التسلسل التاريخي من الأجداد إلى الأحفاد في تقابل الأضداد مثير للسخرية والأسى على حد سواء، فالنبي محمد العظيم صلى الله عليه وآله قابله أبو سفيان، ثم الإمام علي عليه السلام وقف له معاوية بن أبي سفيان، ثم شاء الله أن يقابل التاريخ الإمام الحسين عليه السلام بعظمته شخصًا ضئيلًا مثل يزيد بن معاوية. (وإذا كان الإمام علي عليه السلام قد عبر في واحدة من مناسبات صراعه المرير مع الباطل بقوله: (أنزلني الدهر حتى قيل معاوية وعلي)، فإنه عليه السلام لا يذكره كندّ، بل كنقيض له في النبل والخلق والإنسانية)[1]. وفي هذا الشأن يذكر أن معاوية وضع نفسه ندًا لعلي في المكانة الاجتماعية والسلطوية ففنّدها الإمام بأروع مقال في رسالة جوابية له: (وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ)[2]. فألفاظ (المهاجر والصريح والمحق والمؤمن) كنايات استعملها الإمام عن اسمه بينما كنّى في مقابلها عن معاوية بـ (الطليق واللصيق والمبطل والمدغل). ولا شك في أن الإمام قصد من وراء كناياته التعريض بخصمه أولًا ثم بيان مكانته والتذكير بها ثانيًا، لذلك أطال بكناياته في تقابل دلالي، بينما لم يقف على السابقين طويلًا بأكثر من تقابل صريح، لأن غرضه من ذلك الوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه. وإنما لم يصرح الإمام بقوله مثلا (ولا أنا كأنت) ترفعًا عن أن يقيس نفسه بمعاوية، بل ليس له أن يقولها مع أحد من المسلمين كافة، كما لا يقال السيف أمضى من العصا. وإطناب الإمام عليه السلام في هذه الكنايات بسبب ادعاء معاوية في الرسالة التي بعث بها إليه في أنهما متساويان في المنزلة على أساس أن كليهما من بني عبد مناف، لذلك حين أقره الإمام فصل في شرف الآباء منهما حتى إذا وصل إلى نفسه ومعاوية أطال لأجل التعريض. فقوله (الطليق) كونه من طلقاء النبي يوم فتح مكة، وقوله (اللصيق) كونه مدخولًا في نسبه أو مشكوكاً في إيمانه، وقوله (المبطل) بادعائه ما ليس له بأهل من الخلافة وغيرها، وقوله (المدغل) كونه ممن عرف بنفاقه وترصده للإسلام ورموزه.

وشاء الله أن يتكرر هذا المشهد عند الإمام الحسين عليه السلام، وبدأ حين استُدعي إلى حاكم المدينة الوليد بن عتبة (فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الإمام الحسين عليه السلام، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الإمام الحسين عليه السلام: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرًا حتى أبايعه جهرًا فيعرف ذلك الناس، فقال له الوليد: أجل فقال الإمام الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدًا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب الإمام الحسين عليه السلام عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت)[3] ... (ثم أقبل

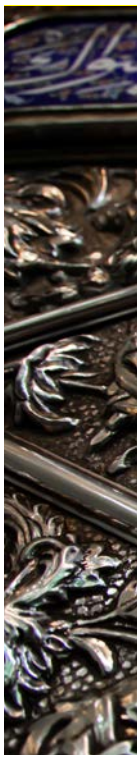

على الوليد فقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج عليه السلام)[٤]. بهذه النفس الكبيرة أجاب الإمام الحسين عليه السلام وبهذه اللغة الحادة الصريحة التي لا مجال فيها للمقارنة (مثلي لا يبايع مثله).

ومثل هذه اللغة قوله عليه السلام في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق: (ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: السّلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ونفوس أبيّة وأنوف حميّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ..)[٥]. عقد الإمام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين:

الصورة الأولى: صورة الدعي ابن الدعي، ويعني به عبيد الله بن زياد، وهو دعي لأنه مطعون النسب، فأبوه زياد - الملقب بابن أبيه - قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق بأتباعه، ولذلك هو دعي وابن دعي. أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الإمام الحسين عليه السلام بعدّه خارجًا على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلًا عن الإسلامية، والأول هو الأرجح.

الصورة الثانية: صورة نفسه وأهله التي صرح بإبائها للذلّة وأخذ الدنيّة، موضحًا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت) معرضًا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي. لا مجال – إذًا – للمقارنة بين الكرام واللئام.

ثانيًا: اللغة الشعرية المقارنة:

في الخطاب الشعري للإمام الحسين عليه السلام ومما تمثل به من أبيات نتلمس صورتين متقابلتين في لغة المقارنة :صورة البطل الأبي المضحي وصورة الذليل الخانع الجبان وما بينهما تختبئ اللغة الشاعرية المقارنة التي تبين إباء الإمام الحسين عليه السلام وإقدامه على إصلاح أمة جده. ومن الطبيعي أن يرتبط انتقاء الشعر بسمو النفس ورفعة توجهاتها وطموحها الكبير، ولذا ارتبط الشاهد الشعري في خطاب الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والشجاعة والنصح والإيثار بلغة شاعرة منفعلة فرضها الموقف واستوجبتها الهمة العالية، فهو نفس أبيّة بين جنبيه دائمًا، فقد رُوي أنه لمّا ورد خبر مسلم وهاني ارتجّ الموضع بالنوح والعويل والدموع فقال عليه السلام متمثلا: (من الطويل)

لئنْ كانت الدنيا تعد نفيسةً
فإن ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإنْ كانت الأبدانُ للقتل أُنشئتْ
فموتُ الفتى في الله أولى وأفضلُ
وإنْ كانت الأرزاقُ قسماً مُقدَّرا
فقلةُ حرص المرءِ في الكسبِ أجملُ
وإنْ كانت الأموالُ للترك جمعُها
فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ[٦]

وتُروى هذه الأبيات لأبيه الإمام علي عليه السلام، وقيل هي من إنشاء الإمام الحسين عليه السلام.

وقد كان لأسلوب الشرط فعله في إحداث صور المقارنة المطلوبة بين البذل والتضحية وبين الركون إلى الدنيا، وهكذا في باقي الصور المتلاحقة.

ومن تمثُّله بشعر الحماسة والانفعال لفروة المرادي قوله من خطبة له عليه السلام: (.. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر: (من الوافر)

فـإنْ نُهـزمْ فهزّامـون قدمًـا
وإنْ نُغلـبْ فغـيرُ مُغلَّبينـا
ومـا إنْ طبُنـا جُبـنٌ ولكـنْ
منـايـانـا ودولـةُ آخـريـنـا
إذا ما الموت يرفع عن أناس
كـلاكـلـه أنـاخ بآخـريـنـا
فأفنى ذلكـم سـروات قوم
كمـا أفنى القـرون الأولينـا
فلو خلـد الملوك إذا خلدنـا
ولـو بقي الكـرام إذا بقينـا
فقل للشـامتين بنا أفيقـوا
سيلقى الشامتون كما لقينا)[٧]

ومن هذه اللغة المتحمسة تمثله بهذه الأبيات وهو يعالج سيفه ويصلحه ليلة استشهاده عليه السلام: (من الرجز)

(يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ
كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ
والدّهـرُ لا يقْنـعُ بالبديـلِ
وإنـما الأمـرُ إلى الجليـلِ
وكلُّ حي سـالك السبيـلِ

قال الإمام زين العابدين عليه السلام وقد كانت عنده عمته زينب تمرضه: فأعادها مرتين، أو ثلاثًا حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت أن البلاء قد نزل. فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي! فنظر إليها الإمام الحسين عليه السلام فقال: يا أُخية! لا يذهبن بحلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي، يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك. فرد غصته وترقرقت عيناه، وقال: لو تُرك القطا ليلًا لنام! قالت: يا ويلتي! أفتغصب نفسك اغتصابًا؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيًا عليها! فقام إليها الإمام الحسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخية! اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخية ! إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيبًا، ولا تخمشي عليّ وجهًا، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت . ثم جاء بها حتى أجلسها عندي)[٨].

إن هذا النعي التفصيلي المبكر من الإمام الحسين عليه السلام لنفسه يعجز عن صفته البيان حقًا، ولا مثيل له في تاريخنا غير الإمام الحسين عليه السلام نفسه، لأنه تنظير وتطبيق في الوقت ذاته، نعم، توجد له شواهد من آبائه عليهم السلام وهي لا ريب عظيمة، إلّا أن الله دفعها عن أصحابها كما قدمنا بفداء إسماعيل بذبح عظيم، وكما دفع الله تعالى عن فداء الإمام علي عليه السلام بنفسه للنبي صلى الله عليه وآله يوم نام في فراشه. ومن هنا تبدو حرارة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ووقع شدّتها على النفوس على مر التاريخ.

ومما تمثل به الإمام الحسين عليه السلام من شعر الحماسة ما ذكره أبو مخنف في هذا الحوار حين ساير الحر الإمام فقال: (يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، ما أدري ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول فقال: (من الطويل)

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى
إذا ما نوى حقًا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبورًا وباعد مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم
كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

قال: فلما سمع ذلك منه الحرُّ تنحّى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية والإمام الحسين عليه السلام في ناحية أخرى)[٩].

الشعر إذًا كان من ضمن لغة التصوير المقارن في بيان علو همة النفس ورفعتها وإبائها■

---

١) مقدمة كتاب فرحة الغري/ السيد عبد الكريم بن طاووس/ ص٧.
٢) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٧٥.
٣) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ص٣٣.
٤) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٤ص٣٢٥.
٥) الإحتجاج/الطبرسي/ج٢ص٢٤.
٦) مثير الأحزان/ابن نما الحلي/ص٣٢.
٧) ن.م/ص٤٠
٨) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ص٩٤.
٩) ن.م/ص٨١.

آخر دعاء للإمام الحسين عليه السلام في آخر لحظات حياته

اللَّهُمَّ ! مُتَعالِيَ الْمَكانِ، عَظيمَ الْجَبَرُوتِ، شَدِيدَ الْمِحالِ، غَنِيّاً عَنِ الْخَلائِقِ، عَرِيضَ الْكِبْرِيَاءِ، قَادِراً عَلَى مَا تَشَاءُ، قَرِيبَ الرَّحْمَةِ، صَادِقَ الْوَعْدِ، سابِغَ النِّعْمَةِ، حَسَنَ الْبَلاَءِ، قَرِيباً إِذا دُعِيتَ، مُحِيطاً بِما خَلَقْتَ، قابِلَ التَّوْبَةِ لِمَنْ تابَ إِلَيْكَ، قادِراً عَلَى ما أَرَدْتَ، وَمُدْرِكاً ما طَلَبْتَ، وَشَكُوراً إِذا شُكِرْتَ، وَذَكُوراً إِذا ذُكِرْتَ، أَدْعُوكَ مُحْتاجاً، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فَقِيراً، وَأَفْزَعُ إِلَيْكَ خائِفاً، وَأَبْكي إِلَيْكَ مَكْرُوباً، وَأَسْتَعِينُ بِكَ ضَعِيفاً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ كَافِياً، احْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا، فَإِنَّهُمْ غَرُّونا وَخَدَعُونا وَخَذَلُونا وَغَدَرُوا بِنا وَقَتَلُونا، وَنَحْنُ عِتْرَةُ نَبِيِّكَ، وَوُلْدُ حَبِيبِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ بِالرِّسالَةِ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلى وَحْيِكَ، فاجْعَلْ لَنَا مِنْ أَمْرِنا فَرَجاً وَمَخْرَجاً بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

(مصباح المتهجد/ الطوسي/ ص٨٢٧)

وقال عليه السلام أيضًا :

صَبْراً عَلى قَضائِكَ يا رَبِّ ! لا إِلهَ سِواكَ، يا غِياثَ الْمُسْتَغيثِينَ، ما لِي رَبٌّ سِواكَ، وَلا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ، صَبْراً عَلى حُكْمِكَ يا غِياثَ مَنْ لا غِياثَ لَهُ، يا دائِماً لا نَفادَ لَهُ، يا مُحْيِيَ الْمَوْتى، يا قائِماً عَلى كُلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ، اُحْكُمْ بَيْني وَبَيْنَهُمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ.

(مقتل الحسين/ المقرم/ ص٣٥٧)

المنظومة العسكرية عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام
رؤية معاصرة في قيادته العسكرية

الباحث كريم جهاد الحسّاني
مركز الأمير عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي/النجف الأشرف

ينابيع

دعا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله الناس إلى الجهاد كفرض من الفروض الإلهية؛ إذ لم تكن سياسة الإكراه هي المهيمنة على المسلمين، ولم تُفضِ تلك السياسة لإرغام الناس على الخدمة العسكرية، فمن شاء أن يخرج خرج مؤدياً لما فرض عليه ومن تقاعس فإنما يهمل ما أوجبه الله عليه من دون أن ينال عقوبة أو يتعرّض للسخط والإرهاب الدنيوي.

وهذا ما سار عليه الإمام الحسن عليه السلام وخطّهُ لمّا قرر مناجزة معاوية، فإنه لم يكره أحداً على ذلك، وإنما ندبهم إلى الجهاد؛ إذ أراد بذلك أن يكون الناس مندفعين بدافع الإيمان والعقيدة لما أوجبه الله عليهم من الفرض.

توليّه مسؤولية الخلافة والقيادة:

بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة في الكوفة، وتلاحقت المدن والأمصار تعلن بيعتها للإمام أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام، البصرة، والمدائن، وكل مدن العراق، ثم الحجاز، واليمن، وفارس، وبايعه إلى ذلك من بقي في الآفاق من فضلاء المهاجرين والأنصار، فلم يكن لشاهد أن يختار، ولا لغائب أن يرد، ولم يتخلّف عن بيعته إلّا

معاوية وحاكميته الشام[١].

وبدأت المشاكل من اليوم الذي تحمّل فيه الإمام الحسن عليه السلام مسؤولية الأمة كإمام وقائد ومعلّم، فقد تململ البعض من الذين يعلمون أن الإمام الحسن عليه السلام لا يتعدى خط والده الإمام علي عليه السلام، فاستيقظ معاوية من جديد ليعلنها عاصفة هوجاء في وجه الخليفة الجديد، ومهما كلف الأمر، فقد هيأ من قبل مؤامرة ابن ملجم ليحصد نتيجتها، وقد أتت الساعة التي انتظرها أبو يزيد بفارغ الصبر. ومن أجل إلقاء الحُجة، كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية كتاباً يدعوه فيه إلى بيعته، فردَّ عليه معاوية بما يكشف عن دخيلة نفسه الحاقدة.

إعلان الحرب بين الطرفين:

صممَّ معاوية على غزو الكوفة بجيش ضخم بقيادته، ليقابل الإمام الحسن عليه السلام، ويقول الشيخ القرشي في كتابه: إنما استعجل معاوية الحرب لأمور، وهي :

١. إنه اتصل اتصالًا وثيقًا بزعماء العراق، وقادة الجيش ورؤساء القبائل، فاشترى ضمائرهم الرخيصة بالأموال، ومنّاهم بالوظائف فأجابوه سرًا إلى خيانة الإمام، وتنفيذ أغراضه ويدل على ذلك مذكرته التي بعثها إلى عماله وولاته يطلب منهم النجدة والالتحاق به فإنه أعرب فيها عن اتصالهم به.

٢. علمه بتفكك الجيش وتفلله وعدم طاعته للإمام، وذلك مسبب عن أمور كانت علة للصلح ومن أسبابه.

٣. علمه بوجود الخطر الداخلي الذي مُني به العراق وسلمت منه الشام وهي فكرة الخوارج التي انتشرت مبادئها بين الأوساط العراقية، ومن أوليات مبادئهم إعلان التمرد والعصيان على الحكم القائم ونشر الفوضى في البلاد ليتسنى لهم الإطاحة به واستلام قيادة الأمّة.

٤. مقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي فقد به العراق قائدًا وموجهًا وخطيبًا يحملهم على الحق، ويثيبهم إلى الصواب وقد أصبح العراقيون بعد فقده يسيرون في ظلام قاتم ويتخبطون خبط عشواء، قد فقدوا الرائد والدليل، هذه الأمور هي التي حفزت معاوية إلى اعلان الحرب واستعجاله، فإن العراق لو لم يمن بمثل هذه الكوارث والفتن لما وجد معاوية إلى الحرب سبيلا، ولبذل جميع طاقاته في تأخير الحرب وعقد الهدنة المؤقتة كما فعل ذلك مع ملك الروم، حتى يتبين له الأمر، فإنا لا ننسى كلماته التي تنم عن خوفه وفزعه من العراقيين حينما كانوا صفًا واحدًا غير مبتلين بالتفكك والانحلال، فقد قال: ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلّا لبس على عقلي، ووصف اتحادهم بقوله: إن قلوبهم كقلب رجل واحد، فلولا اختلافهم وتشتتهم لما بادر معاوية إلى إعلان الحرب واستعجاله[٢].

وصف جيش الإمام الحسن عليه السلام:

لكي نقف على حال الجيش الذي قاده الإمام الحسن عليه السلام لمحاربة معاوية يجب علينا أن نقرأ الحيثيات التي قام عليها هذا الجيش. إذ لم تقض سياسة الإمام الحسن عليه السلام وهي السياسة العامة للبيت المحمدي صلوات الله وسلامه عليهم بإرغام الناس على الدخول في الخدمة العسكرية، فلم يك يرغم الناس على الخروج إلى الحرب، وإنما كانت دعوته إلى الجهاد كفرض من فروض الله، فمن شاء أن يخرج خرجَ مؤدياً لما فرض عليه، ومن قعد فإنما يقعد غير ممتثل لما أوجبه الله من دون أن ينال

عقوبة أو يتعرّض للسخط والإرهاب كما كان يفعله معاوية في جيش الشام.

لذلك فقد وصفَ الجيش الذي كان تحت مظلة الإمام الحسن عليه السلام إنه جيش قد ركز في الفتنة، وماجَ في الشقاء، إذ وصفه الشيخ المفيد رحمه الله وقسمّهُ إلى عناصر، قائلاً:

(واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفَّ معه أخلاطٌ من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليه السلام، وبعضهم محكمّة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين)[٣].

فمن كان منهم شيعة له ولأبيه فالظاهر إنَّ عددهم قليل في جيشه، والمحكمّة هم الخوارج الذين ضمّهم جيش الإمام عليه السلام، وكانوا يرمون قتال معاوية بكل حيلة ووسيلة لا إيماناً منهم بقضية الحسن عليه السلام، وكانوا يرومون الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية في صعيد واحد، فرأوا أن ينظموا إلى جيشه مؤقتاً حتى ينهوا أمره، فإن قضي عليه فيكون أمر الإمام الحسن عليه السلام سهلاً؛ لأنَّ اغتياله ليس بالعسير عليهم، فقد اغتالوا أباه من قبل.

وضمّ الجيش فصيلة من الجند لا يؤمن بالقيم الروحية، ولا يُقدس العدل، وإنما كانوا ينشدون مصالحهم وأطماعهم. أما أتباع الرؤساء الذين كانوا أكثر العناصر عدداً في جيش الإمام عليه السلام، وأعظمهم خطراً، فَهُمْ يتبعون زعماءهم ورؤساءهم اتباعاً أعمى لا إرادة لهم ولا تفكير ولا شعور بالواجب، وهم المعبّر عنهم بالهمج الرعاع.

لذلك فقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام بخبرته العسكرية كراهية جيشه للحرب، ولمس ميله إلى الدعة والسلم وأبصر وراءه معاوية يستخلص ولاء القادة، ويبتاع ضمائر الزعماء، ويمنّي بالمناصب المهمة، ويلوّح بالوظائف القيادية، ويهدد بالإبادة الشاملة.

استراتيجيات الإمام الحسن عليه السلام:

لقد مارسَ الإمام الحسن عليه السلام الدور القيادي بكل معانيه، فقد قسّمَ نشاطهُ إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول: التوجيه المعنوي والتعبئة، حيث كان يُرّكز على تعريف المسلمين في الكوفة بأهداف حركته الجهادية المباركة، وإعلام مَن سيصحبهُ من المقاتلين بنيل شرف الشهادة، وتوضيح زيف عدّوهم معاوية الذي لا يخفى عنهم مكره وخداعه من قبلُ على إمامهم وأميرهم علي بن أبي طالب عليه السلام ومحاولته التسلط على رؤوسهم ليحكم بما أنزل هو لا بما أنزل الله تعالى.

الدور الثاني: تهيئة ومعرفة القيادات العسكرية التي سوف تتسلّم المهام القيادية منذ اللحظات الاولى وهو في الكوفة، وإعطاؤهم الدور الريادي في تحشيد الناس على الخروج، وبالفعل فقد نجحَ بعضهم في رفع همم بعض المتخاذلين من جيش الإمام في الكوفة أمثال الصحابي العظيم عدي بن حاتم.

الدور الثالث: الدور العسكري، إذ يتجلى دوره هذا فيما سنذكره أدناه.

تأمين الجبهة الداخلية:

خرج الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة لرد العدوان الأموي، إلّا أنه لم يجعل مركز عاصمته الكوفة مرتعاً لبعض المنافقين، فلربما يجعلون من خروجه فرصةً سهلة للنيل من سلطته والسيطرة عليها وتسليمها إلى معاوية على طبقٍ من ذهب.

لذلك استخلف في الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرث وأمرهُ بحَث الناس على الجهاد وإشخاصهم إليه في النخيلة. ثم طوى صلوات الله وسلامه عليه البيداء بجيشه الجرار حتى انتهى إلى النخيلة، فاستقام فيها، وكانت غايته من ذلك درء الخطر عن العاصمة الكوفة بأن لا تكون مركزاً لخطر العدوان الأموي، وأن تصبح آمنة من شرورهم.

تقسيم القطعات العسكرية:

نظراً للفرق الشاسع بين عدد جيش الإمام عليه السلام أمام أعداد الجيوش الهائلة للعدو، ولخوفه صلوات الله وسلامه عليه من الخيانة التي كان يتوقعها في بعض صفوف جيشه المتخاذل عَمِلَ على تقسيم قطعاته العسكرية إلى عدة فصائل، وإرسالها على شكل دفعات متتالية؛ لتفادي خسران الجيش بأكمله في وقت واحد، علماً أنه وضع على رأس القيادات العامة لتلك الفصائل مَن هم أكثرهم كفاءةً وثقةً، إلّا انَّ الخيانة القيادية هي التي أوصلت هذا الجيش للانكسار والخذلان، وأهمها الحوادث القاسية التي وقعت في (مسَكِن) والتي تضم مقدمة جيش الإمام، بعدما أسند قيادتها إلى ابن عمّه عبيد الله بن العباس.

هنالك قام معاوية من خلال عملياته الإعلامية التخريبية من أجل تمزيق وحدة الصف العسكري، فكانت باكورة الدسائس الخطيرة في إفساده مقدّمة جيش الإمام عليه السلام أن بعثَ الجواسيس، ونشر العيون ليذيعوا الذعر والإرهاب، وبث العصيان والتمرّد فيها، ويقوموا بخذلان الجيش[٤].

فغزا معاوية برسائله مشاعر القائد عبيد الله، فقد أخذ يُطيل التفكير في ارتكاب الجريمة والخيانة، وتمثّلت أمامه المُغريات التي عرضها عليه معاوية، فسوّلت له نفسه الأثيمة بالغدر ونكث العهد.

وعندما نظر الإمام عليه السلام إلى هذه الأحداث من حوله وجّه قائدًا من كندة في أربعة آلاف، فانحاز إلى معاوية بعد أن وصلته منه الأماني والرشاوى. فبلغ الإمام الحسن عليه السلام ذلك فتأثر وقام خطيبًا وهو متذمر ومتألم أشد الألم من ذلك المجتمع الذي جرفته الخيانة. وبعث رجلًا آخر من مراد في أربعة الآف، فقلب على الإمام الحسن عليه السلام وأخذ طريقه إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود.

استخبار عزائم ونوايا الأتباع:

القائد الناجح سواء كان قائداً في الميدان العسكري، أو في الميدان الإداري يكون على مستوىً عالٍ في إدراك نوايا أتباعه، ممّن يسير معه وهذا يعود غالباً إلى مقدرة القائد في التمييز وقابليته على قراءة الأسرار من خلال الخبرة المتراكمة لديه. والإمام الحسن عليه السلام قد قرأ تلك الأسرار مسبقاً من خلال معرفته بالمجتمع الذي عاش معه دهراً من الزمن، فلم يكن الإمام عليه السلام بعيداً عن الحقيقة المُرّة التي مُني بها، وهو يُشاهد أغلب قادته وهم يتخذون الليل جملاً لمعسكر معاوية، لا إيماناً بأحقيّته بالخلافة، بل هي الدنيا يتكالبون عليها. فهذا الجيش كان الأمل الوحيد للإمام الحسن عليه السلام أن يُحارب به معاوية، وإذا كان استصلاح هذا الجيش بعد هذه البوادر الخطيرة التخاذلية، فإن الوضع المستقبلي لحالة الإمام السياسية أصبحت واضحة للغاية. ولعل من أبلغ ما أفضى به في هذا

الموقف الحساس المؤلم خطابه الذي ألقاه بالبقية الباقية من جيشه.

ولكي يكمل معاوية مُسلسلهُ هذا بعث برسائل القبائل التي راسلها إلى الإمام عليه السلام ليطلّع فيها على خيانة جيشه، وعندما عرضت عليه تلك الرسائل أيقن بفسادهم وتخاذلهم وسوء نياتهم؛ لذلك كان الإمام الحسن عليه السلام حينها لا يتقدم للصلاة إلا متقلداً درعه خشيةً من الفتك به[٥].

الخبرة والتمرّس العسكري:

لم يأتِ الدور القيادي الذي اضطلع به الإمام الحسن عليه السلام من دون ممارسة سابقة، بالرغم من منصبه كإمام يملك قابليات وقدرات خاصة مكنته منها الإمامة، إذ لعبت خبرة الإمام الحسن عليه السلام دوراً هاماً في توجيهه للمعركة، فقد كان مشاركاً في حروب الجمل وصفين والنهروان، فأخذ من أبيه الشيء الكثير في إدارة الحرب وحسم النتائج، إلّا أن أوضاع الخيانة والغدر التي مارسها معاوية ضده أتت أُكلها مع جيشه المتخاذل، ولمّا لم يبق معه أحد ينصره إلّا النفر القليل من خُلص أصحابه الذين حاولوا حمايته من أطماع النفوس المريضة التي انخدعوا بها من دعوى معاوية، من خلال مراسلات خرجت من داخل جيش الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية أعربوا فيها عن استعدادهم إلى الفتك بقائدهم وإمامهم متى طلب متضمّنةً تسليم الحسن عليه السلام لمعاوية سراً أو جهراً، أو قتله واغتياله، فعَلِمَ صلوات الله وسلامه عليه سوء نياتهم[٦].

ولم تقف محنة وبلاء هذا القائد العظيم في جيشه إلى هذا الحد؛ بل عظم ذلك البلاء أكثر عندما أقدم المرتشون والخوارج على محاولة قتله غيلة ثلاث مرات، وسلِمَ منها.

الصُلح من استراتيجيات القائد:

ممّا تقدّم يتّضح أن الإمام الحسن عليه السلام كان مضطراً لتجنب الحرب مع معاوية، وهذا من استراتيجيات وسياسة القائد الناجح الذي يقوم بتحكيم العقل في هكذا مواقف حاسمة، وكانت تداعيات هذه السياسة الحسنية والتي جلبت الصلح للأسباب الآتية:

أولًا: إصرار جمهور جيشه المتبقي، وقد تبين للإمام عليه السلام ذلك من خلال امتحانه لأصحابه ليرى خلجات أنفسهم الدخيلة وما تضمره من كراهيتهم للحرب عندما قام بهم خطيباً، قائلاً:

(الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدًا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي، صلى الله عليه وآله.

أما بعد، فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومَنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحتُ محتملًا على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليَّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا).

قال الراوي: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه[٧].

ثانياً: لا يمكن له أن يُغامر بالصفوة المؤمنة، والبقية الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه الإمام أمير المؤمنين

علي عليه السلام.

ثالثاً: لا يمكن له أن يدخل في حرب خاسرة، فالقائد المحنك يُقدر حسابات الحرب الخاسرة من الناجحة، فيختار ما يختاره بقية جيشه المتهالك، ويعتمد ميثاقاً يُنظّم وقف الحرب، وإن كان كارهاً له■

١) مقاتل الطالبيين، ص٥١.
٢) الإمام الحسن بن علي عليه السلام/ باقر القرشي، ج١١، ص٧١ – ٧٢ .
٣) الإرشاد /الشيخ المفيد، ج٢، ص١٠.
٤) للاطلاع ينظر: مقاتل الطالبيين، ص٦٢. بحار الأنوار، ج٤٤، ص٥١. الإمام الحسن بن علي عليه السلام (الموسوعة)، القرشي، ج١١، ص٩٤-٩٥.
٥) ينظر: مناقب آل ابي طالب /ابن شهر آشوب، ج٣، ص١٩٥.أيضًا: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص١٣٨.
٦) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٥؛ الإرشاد، ج٢، ص١٢، كشف الغمة، ج٢، ص١٣٨.
٧) مقاتل الطالبيين، ص٤١.

من صور الطف

تقدّم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الإمام الحسين عليه السلام بسهم ، وقال : اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل من رمى! وأقبلت السهام من القوم كأنّها القطر !

فقال عليه السلام لأصحابه : قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذي لا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هذِهِ السِّهامَ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ .

فاقتتلوا ساعة من النهار حملة وحملة، حتّى قتل من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام جماعة فعندها ضرب الإمام الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، وجعل يقول :

اشْتَدَّ غَضَبُ الله تعالى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَداً، وَاشْتَدَّ غَضَبُ الله تَعالى عَلَى النَّصارى إِذْ جَعَلُوهُ ثالِثَ ثَلاثَة، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَر دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلى قَوْم اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أما وَاللهِ ! لا أُجيبُهُمْ إِلى شَيء مِمّا يُريدُونَ حَتّى أَلْقىَ اللهَ تَعالى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمي.

(البحار/ ج٤٥ ص١٢)

شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام
ـ رؤية تحليلية ـ

أ. د. نجم عبدالله الموسوي
كلية التربية – جامعة ميسان

ينابيع

تعددت تعريفات الشخصية (Personality) من العلماء والباحثين وكل منهم ينظر إليها من وجهة نظره ومن زاوية تخصصه، لكن من الممكن تعريفها على أنها مجموعة السمات والمميزات والصفات الجسمية والنفسية (الموروثة والمكتسبة) التي تمثل بناء الفرد والتي يتحلى بها فرد ما، وبذلك تتكون منها شخصيته الخاصة التي تميزه عن الناس الآخرين.

وللشخصية نوعان مميزان هما: الشخصية السوية والشخصية غير السوية، والسوية هي التي تهمنا في موضوعنا هنا، وهي ما يراه الآخرون من اتفاق تام على أنها صورة مناسبة للفرد من حيث سلوكه وفكره ومشاعره.

وعندما يتناول المتخصصون تحليل أي شخصية من الشخصيات البارزة في التأريخ فإنهم أمام مجموعة من الأبعاد التي تتكون منها هذه الشخصية، منها: الوراثة، التربية، السلوك، المواقف، التصرفات، وغيرها من الأمور التي تبين أسلوب الفرد في الحياة ومن خلالها تتضح معالم القوة في هذه الشخصية ومدى مقبوليتها وتأثيرها في الآخرين بصورة إيجابية.

وهنا كان الرأي أن تكون نظرة سريعة ومختصرة لأهم الخصائص الإيجابية في شخصية سيدي ومولاي مسلم بن عقيل عليه السلام الشهيد الأول في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، والذي سطر أروع بطولة، ورسم أجمل لوحة في التضحية، لأجل الدين الحنيف ضد من أراد سوءًا بهذا الدين، ونصرةً لسيده ومولاه الإمام الحسين عليه السلام.

وكان لابد من بيان بعض السمات الرائعة في هذه الشخصية الفذة المؤمنة التي عملت عملًا صالحًا ورجت رحمة ربها جلّت وعلت قدرته، ومن خلال إلقاء نظرة تحليلية في شخصيته المباركة تبين ما يأتي:

١. هناك إضاءات مشرقة في حياة مسلم بن عقيل عليه السلام لا بد من الوقوف عليها والاستنارة بها والأخذ منها، فمن ناحية الوراثة فهو يتمتع بسلسلة طيبة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات، فهو من أشرف بيوتات العرب من قريش بل من عين الأشراف من قريش بني هاشم، فأبوه عقيل بن أبي طالب كان نسابة عالمًا بأنساب العرب وقريش، وجده أبو طالب مؤمن قريش وكافل رسول الله صلى الله عليه وآله ومربيه وحاميه وناصره، وجده الأكبر عبد المطلب

بن هاشم سيد البطحاء وسيد مكة، ويستمر هذا النسب إلى ذبيح الله النبي إسماعيل عليه السلام ابن خليل الرحمن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام!!! هذه السلسلة أعطت لشخصيته بُعدًا قويًا بما يمتلكه من مؤهلات نسبية عطرة، ومن ناحية التربية فالبيئة التي تربى فيها بيئة نقية مرتبطة بالله تعالى أيّما ارتباط، غذته منذ نعومة أظفاره بغذاء الأخلاق والإيمان وألبسته لباس التقوى.

٢. إن شخصية سيدي مسلم بن عقيل عليه السلام تنفرد عن شخصيات بقية أنصار الإمام الحسين عليه السلام بمؤهل الجهاد المبكر والتصدي السابق للمعركة، فيعتبر المجاهد السباق، وأول من أدرك الفتح في النهضة المباركة، كما أن دخوله إلى مدينة الكوفة لوحده مع ما يتيقنه من حصول مطبات في ولاء مجتمع الكوفة بسبب الهمجية الأموية باعتمادها على سياسية الترغيب والترهيب، منحه بُعدًا كبيرًا على مستوى العزيمة والإصرار، فعند وصوله إلى الكوفة مبعوثًا من قبل الإمام الحسين عليه السلام (نزل دار المختار الثقفي، وأقبلت الناس عليه، فبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الإمام الحسين عليه السلام بالإقبال إلى الكوفة)[١].

٣. إن شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام شخصية مطيعة لمولاها الإمام الحسين عليه السلام فبما يتمتع به من صفات القيادة والرئاسة وبما يمتلكه من حنكة عسكرية صقلت شخصيته من خلال ملازمته لعمه أمير المؤمنين عليه السلام حتى زوجه ابنته رقية، فأنجبت له عبد الله ومحمد وقد استشهدا مع خالهما الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف، وقد اشترك معه في العديد من المعارك، وكذلك ملازمته للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وطاعته لهما[٢]، وما كان مسلم بن عقيل أمام الإمام الحسين عليه السلام إلا جنديًا مطيعًا منفذًا لما يمليه عليه إمام زمانه، ومنفذًا لكل ما يسنده إليه من مهمات عسكرية من دون مناقشة أو إبداء رأي لقناعته التامة بالقيادة الناجحة والأفكار السليمة والصحيحة التي يرسمها ويضعها الإمام الحسين عليه السلام. فحينما ورد كتاب أعاظم الكوفة إلى سيّد الشهداء عليه السلام وكان فيه:

(أمّا بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها. وكان في جوابه عليه السلام إليهم: أما بعد: فإن هانئًا وسعيدًا قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق . وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله)[٣]، عند ذلك (دعا عليه السلام مسلم بن عقيل، فقال: اشخص إلى الكوفة فإن رأيت منهم اجتماعًا على ما كتبوا ورأيته أمرًا ترى الخروج معه، فاكتب إلي برأيك..)[٤]، فما كان من مسلم إلا أن لبى دعوة سيده الإمام الحسين عليه السلام وبادر إلى تنفيذ أمره رغم علمه أنها مهمة محفوفة بالمخاطر.

٤. انعكاس العديد من الأبعاد التربوية والمواقف على شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام فاختياره من قبل أمير المؤمنين عليه السلام في العديد من المواطن للتصدي في معسكر

الإمام علي عليه السلام وقربه من الإمام الحسن عليه السلام ووقوفه إلى جنبه، وملازمته للإمام الحسين عليه السلام، كل تلك الأمور جعلته ذا شخصية فريدة تتمتع بالاستقرار والطمأنينة وصلابة الإيمان تستطيع أن تضع الأمور في نصابها وفي مكانها من غير تسرع أو استعجال .

٥. هناك التفاته يجب الإشارة إليها وهي أنه عندما اختاره الإمام الحسين عليه السلام فلا بد أن تكون لدى الإمام الحسين عليه السلام قناعة تامة بشخصيته وتصور واف عن قدراته وقابلياته الإدارية والعسكرية، وإلا لم يكن يتم ترشيحه من الإمام الحسين عليه السلام وإرساله إلى مدينة الكوفة للتمهيد للثورة ضد الطغاة، وإلا لما اختاره سفيرًا له، أي بمعنى آخر أنه البديل المناسب والملائم لشخصية الإمام الحسين عليه السلام والذي مثّله أحسن تمثيل .

٦. إن شخصية مسلم بن عقيل في ميزان علم الإدارة، شخصية بطلة وغيورة ومتفانية ومؤمنة ومحبة لله ورسوله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام فهو الناطق الرسمي بصوت الحسين عليه السلام والممثل الحقيقي له والداعي إلى طاعته، فهو قائد عندما كان معه أنصاره ومؤيدوه، ولم يزل قائد حتى عندما بقي لوحده ليس معه أحد، فهذا الإمام الحسين عليه السلام يقول في حقه كما مر علينا : (...وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي). ولما يمتلكه مسلم بن عقيل عليه السلام أعطاه الإمام الحسين عليه السلام صلاحيات واسعة للتصدي والقيادة وتعريفه بمجريات الأمور، من حيث الاتصال بالشخصيات الشيعية المعروفة في الكوفة وبالزعامات التي أعلنت ولاءها للإمام الحسين عليه السلام، ولما علم الحسين بمقتل مسلم (استعبر باكيا ثم قال رحم الله مسلما فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحياته ورضوانه)[٥].

٧. تمتعت شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام بمزايا استثنائية لم تكن موجودة في غيره من القادة الآخرين، فهو رجل صاحب فطنة وذكاء تتوافر فيه السمات القيادية، وله ثقة مطلقة بنفسه وبذاته وقدرة كبيرة على مواجهة المشكلات التي تعترضه مع عدم الاستسلام والخنوع لها والتهرب منها، كل هذه المزايا مكنته من إدارة الأزمات والتصرف بحكمه أمام البطش الأموي . فحين وصل الأمر إلى مقاتلة أعوان السلطة الأموية، أبدى بسالة قل نظيرها رغم أنه وحيد وسط الأعداء، وقوة أذهلت عقولهم (لقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت)[٦]، وكان يقاتلهم مرتجزاً:

أقسمت لا أقتل إلا حرا
وإن رأيت الموت شيئًا نُكرا
وأخلط البارد سُخنًا مُرا
رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يومًا ملاق شرا
أخاف أن أكذب أو أغرا[٧]

٨. امتلكت شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام صلابة نفسية (Psychological Hardiness) عالية الدقة والمضمون، والتي يقصد بها قدرة الفرد على تحمل ومواجهة الضغوط النفسية والمحافظة على توازنه النفسي سواء كان توازنًا داخليًا أو خارجيًا، ومن ثم مواجهة هذه الضغوط بحيوية عالية والتغلب عليها بروح متفائلة، كل هذه الصلابة وجدناها في شخصيته المباركة إذ لم ينصع لمطالب الأعداء على الرغم من بقائه وحيدًا في المواجهة،

وظل متمسكًا برأيه وبعقيدته ومبادئه، وهذا ما انعكس على تربيته لأبنائه الذين كانوا نسخة مكررة منه، ففي ليلة العاشر من المحرم، (قام الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيبًا، فقال: (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحابًا هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري). فقام إليه عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فقال: يا بن رسول الله،.... إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن سيد الأعمام، وابن نبينا سيد الأنبياء، لم نضرب معه بسيف، ولم نقاتل معه برمح ! لا والله أو نرد موردك، ونجعل أنفسنا دون نفسك، ودماءنا دون دمك، فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا وخرجنا مما لزمنا[٨].

(ولما برز للقتال أنشأ يقول:

أقسمت لا أُقتل إلّا حُرا
وقد وجدتُ الموتَ شيئًا مُرا
أكره أن أُدعى جبانا فـرا
إن الجبـان من عصـى وفـرا

فقتل منهم ثلاثة ثم قتل (رضوان الله عليه ورحمته)[٩]، فكان عبد الله نسخة أخرى من أبيه مسلم بن عقيل عليه السلام.

٩. إن الدراسة التحليلية لشخصية مسلم بن عقيل عليه السلام تجعلنا نقف على مواطن القوة فيها وما يشير إلى توافقه النفسي وامتلاكه القدرة الكافية على إدارة الأحداث، وتنوير أنفسنا بما يمتلك من قيم ومعان سامية ومن ثم نستلهم من عطائه الثر ما ينفعنا في حياتنا من ثقافة الالتزام الديني والتمسك بالقيم الأخلاقية السامية وبما تركه لنا أئمتنا الأطهار عليهم السلام وقادتنا الأجلاء. ويكفي هنا لنعرف مدى التزام مسلم بن عقيل عليه السلام بقيم الإسلام وبالمثل العليا التي تحلى بها، فحين تمكن من عدوه اللدود الأول ورأس بني أمية في الكوفة عبيد الله بن زياد، وكانوا قد اتفقوا معه أن يخرج عليه ويبطش به في بيت هانئ بن عروة، إلا أن مسلم لم يفعل، حتى قام عبيد الله وانصرف (فخرج مسلم، فقال له شريك ـ الذي اتفق مع مسلم وكان من الشيعة المخلصين ـ : ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحداهما فكراهية هانئ أن يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث النبي صلى الله عليه وآله: (إن الإيمان قيّد الفتك، فلا يفتك مؤمن)، فقال له شريك : أما والله لو قتلته لقتلت فاسقًا فاجرًا كافرًا غادرًا[١٠].

ولا بد من التذكير أن الشخصية الفريدة لسيدي مسلم بن عقيل عليه السلام لها أهمية اجتماعية وتاريخية ودينية وعقائدية لتمتعه بصفات فريدة من نوعها وامتلاكه العديد من الفضائل الأخلاقية الإنسانية التي جعلت من مسلم بن عقيل أن يكون سفيرًا ممثلًا عن إمامه وأخيه وابن عمه الإمام الحسين عليه السلام■

---

١) موسوعة طبقات الفقهاء/ ج١ص٢٩.
٢) ينظر: مستدرك الوسائل/ النمازي/ ج٥ص١٣٨.
٣) الإرشاد/الشيخ المفيد/ ج٢ص٣٩.
٤) مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الاصفهاني/ص٦٣.
٥) لواعج الاشجان/ محسن الأمين/ ص٨٧.
٦) البحار / ٤٤ص ٣٥٤.
٧) روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري/ ص١٧٦.
٨) أمالي الصدوق/ ص٢٢٠.
٩) ن.م/ ص٢٢٥.
١٠) مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني/ص٦٥.

قصيدة في مسلم بن عقيل عليه السلام

الشاعر أبو الحسن جمال الدين علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخلعي (الخليعي) الموصلي الحلي، شاعر أهل البيت عليهم السلام المفلق:

ألمسلم بن عقيل قام الناعي؟ لما استهلت أدمع الأشياع
مولى دعاه وليه وإمامه فأجاب دعوته بسمع واع
حفظ الوداد لذي القرابة فاقتنى شرفا على الأهلين والأتباع
أفديه من حر نقي طاهر ماض العزيمة ساجد ركاع
أفديه من بطل كمي ماجد جم الوفا ندب طويل الباع
لهفي لمسلم والرماح تنوشه لا بالجزوع لها ولا المرتاع
حتى إذا ظفرت به عصب الخنا من بعد معترك وطول نزاع
جاؤوا به نحو اللعين فغاظه بالقول من ثبت الجنان شجاع
وإلى ابن سعد بالوصية مبطنا أفضى فأظهرها بلؤم طباع
وهوى من القصر المشوم مهللًا ومكبرًا تجلو صدى الأسماع
لهفي لسيف من سيوف (محمد) عبث الفلول بحده القطاع
لهفي لمزج شرابه بنجيعه لهفي لمسقط ثغره اللماع
لهفي له فوق التراب مجدلا دامي الجبين مهشم الأضلاع
مولاي يا بن عقيل يومك جاعل حب القلوب دريئة الأوجاع
جادت معالمك الدموع بريها وسقى الحميم بواطن الابداع
وسقى ابن عروة هانيا غدق الحيا فلقد أصاخ إلى نداء الداعي
يا سادة ما زلت مذ علقت يدي بهم أحافظ ودهم وأراعي
مولاكم " الخلعي " رافع قصة يشكو سموم عقارب وأفاعي

(الغدير/ الأميني/ ج٦ص١٦)

العباس بن علي عليه السلام رائد طريق الإمامة

أ.م.د. حسن حميد فياض
جامعة الكوفة/كلية التربية الأساسية

ينابيع

حدثنا التاريخ عن شخصيات كثيرة كانت تشع للأجيال بما انمازت به من مواقف أصبحت مثالًا يُحتذى في صفحات المآثر، ومن عطاء ظلّ نديًا على مرّ الأيام، ومن وفاء بات أعجوبة الأحاديث في المجالس، ومن صفات أخر أصبحت مرآة للنفوس التوّاقة نحو الكمال.

ولئن استطاع التاريخ بنمطيته، وما يصطنعه من أطواق الزمان والمكان أن يحبس شخصياته وأحداثه خلف قضبانها، فإن أمثلة منها باتت خارج سربه، فكسرت جسامتها قضبانه، وامتدت أشعتها خارج أطواقه، وتركته عاجزًا عن تكرارها ندرةً، أو مجاراتها مثالًا، وبقيت لوحدها أسوة المتمثلين، ومنار المهتدين، وعلم السائرين.

ولقد كان العباس بن علي عليه السلام من سبّاق هذا المضمار، ومن الأمثلة العصية على التكرار، بل ممن لا يجود الدهر بمثله تسليمًا، وتصديقًا، ووفاءً، ونصيحةً، حتى صار نبراسًا للتضحية والفداء، ورائدًا لمعرفة الأئمة وطاعتهم، التي هي معرفة الله – سبحانه – وطاعته، وتجسيدًا حيًّا لما ورد عن النبي وآله صلى الله عليه وآله في ذلك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (من أطاع عليًا فقد أطاعني ومن عصى عليًا فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ومن أحب عليًا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليًا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر أو منافق)[١]. وجاء في خطبة للحسين عليه السلام: (رضى الله رضانا أهل البيت)[٢]، وروي عن الصادق عليه السلام قوله: (خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)[٣]. ولا ريب في أن هذه الأحاديث أشعة من نور قول الله ـ سبحانه ـ في كتابه العزيز: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**) (النساء: ٨٠).

فهل تدلني ـ أيدك الله ـ على موقفٍ كموقف العباس عليه السلام يوم الطف، أو طاعةٍ كطاعته، أو وفاءٍ يداني وفاءه، من غير بخس لحق غيره ممّن أطاع ووفى، وهل طرق سمعك أن امرأً بلغ به العطش في موقف حرب قلّ فيه الناصر، وكثُر فيه الواتر أن كان كبده كصالية الجمر من الغضى، ثم يدنو من الماء ليشرب فيمنعه عن برد الماء وفاؤه للحسين عليه السلام وطاعته[٤]، وفي مثل موقفه تتسلط الغريزة فتحجب العقل، ويمتد سلطانها لسدّ الحاجة الملحّة للنفس التي تلغي كل ما عداها، فكيف تغلب أبو الفضل عليه السلام على سلطان العطش والنفس الجامحة نحو الماء، وكيف ردّ ما لا يردّ لولا ما ترسّخ في نفسه من معرفة تمثلت (بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصيّ المبلغ، والمظلوم المهتضم)[٥]. وقد أنشأ في ذلك يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني
فبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون
وتشربين بارد المعين
والله ما هذي فعال ديني
ولا فعال صادق اليقين[٦]

فشرب الماء عند العباس عليه السلام في حالة العطش تلك - التي قلّ نظيرها، بل انعدم - ينافي صدق اليقين في الدين؛ لأن مقياسه مع نفسه ليس عطشه، بل عطش الحسين عليه السلام وعياله، وهي منزلة الراسخين في معرفة حق إمامهم، وإلّا فلا تثريب على العباس لو أنه رشف رشفة أعانته على يومه، ولعلها لو كانت لسطّر التاريخ حديثًا آخر. وفيه قال الشاعر:

أحق الناس أن يبكي عليه
فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي
أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء
وجاد له على عطش بماء[٧]

وقد يكون في الحديث غرابة تتجاوز حدّ معقولنا، فصورة العباس وهو يلقي

الماء من يده بعد أن أحس ببرده، وملأ قربته، وارتفعت كلّ موانع الأعداء.. لعصيّة على الخيال، وبعيدة عن المنال؛ لأنها تمثل موقف الفرد من الرجال الذي لا يجود الزمان بمثله، إنه موقف من فنيَ في حبِّ سيّده، بل هو موقف من لا يرى البقاء إلّا في رضا معشوقه. وإني أقر بعجزي عن تصوّرها على حقيقتها، وأنّى لي ولغيري ذلك.

قمر بني هاشم أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام سلّمه الإمام الحسين عليه السلام رايته في كربلاء، لما يعرفه عنه من رسوخ العقيدة وقوة المبدأ والولاء لإمامه وسيده، فضلًا عما يتمتع به من الشجاعة والبسالة والإقدام، ففي يوم الطف له مواقف خالدة كثيرة وعظيمة.

بل لا غرابة؛ لأنه العباس بن علي عليه السلام، وابن فاطمة الكلابية، أمّ البنين، تلك المرأة التي جسّدت الوفاء والإخلاص في القول والعمل، وفي تربيتها لأربعة شهداء علّمتهم أنّ الحسين عليه السلام هو سيّدهم وإمامهم قبل أن يكون أخاهم، وليس في ذلك حطٌّ من قيمة الأخوة، بل إعلاء للمعرفة، وترسيخ لأصولها، فالنسب مهما كان شريفًا، والأخوة مهما بلغت من سموٍّ لا تعلو على معرفة الإمام وطاعته، وهو منهج تعلّمته من آل البيت عليهم السلام، وعلّمته أبناءها، ونجد امتداده في قول الإمام الصادق عليه السلام: (ولايتي لعلي بن أبي طالب أحبّ إليّ من ولادتي منه؛ لأنّ ولايتي له فرض، وولادتي منه فضل)[٨].

وعلى ذات المبدأ كان موقف أبي الفضل العباس يوم الطف من الولاء والطاعة لسيده الإمام الحسين عليه السلام، فحينما (جاء شمر ووقف على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فقال: أين بنو أختنا؟ـ ويعني العباس وإخوته ـ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون، فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!)[٩] وفي رواية (فناداه العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام تبت يداك ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله أتأمرنا ان نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! فرجع الشمر إلى عسكره مغضبًا...)[١٠].

هذا يعني أن العباس يرى الإمام الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله المفروضة طاعته، قبل أن يراه أخاه وابن أبيه، وقد جسد تلك الطاعة لسيده بأروع صورها، مما حدا بالإمام الحسين عليه السلام أن يجعله رسولًا عنه ومتحدثًا بلسانه لينقل آراءه إلى القوم، فمما ذكرته كتب التاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام حين رأى القوم قد اقتربوا من مخيمه وعزموا على قتاله خاطب أخاه أبا الفضل قائلاً: (يا عباس، اركب ـ بنفسي أنت يا أخي ـ حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم)، فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارسًا، منهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا وقالوا: ألقه فأعلمه، ثم القِنا بما يقول لك. فانصرف العباس راجعًا يركض إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره الخبر،..... فجاء العباس إلى الإمام الحسين عليه السلام

فأخبره بما قال القوم، فقال عليه السلام: (ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار)، فمضى العباس إلى القوم ورجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول: إنا قد أجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرحناكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم)[١١].

لقد كان لهذه التربية مع ما خصّ الله – تعالى - به العباس عليه السلام من مزايا أن جعلته مثالًا يضرب للأجيال، وأسوةً تحتذى من السالكين، حتّى ورد في حقّه الثناء البالغ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعن الصادق عليه السلام: (كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا)[١٢]، وعن زين العابدين عليه السلام: (رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عزّ وجلّ بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة)[١٣].

رحم الله سيدنا العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، ورزقنا من معرفة أئمتنا، ومعرفة إمام زماننا وطاعته ونصرته، ما رزقه في معرفة سيّده الإمام الحسين عليه السلام وطاعته ونصرته، إنه سميع مجيب■

---

١) تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر/ ج٤٢ص٢٧٠.
٢) معارج الوصول/ محمد الزرندي الحنفي/ ص٩٤.
٣) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ ج ٩/١.
٤) ينظر: ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٦٧/٣، وإبصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمد السماوي ٦٢.
٥) كامل الزيارات لابن قولويه ٤٤٠، والنص من زيارة العباس عليه السلام التي يرويها أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق
٦) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣/ ٦٧.
٧) مقاتل الطالبيين/أبو الفرج الأصفهاني/ ص٥٥.
٨) الفضائل لابن شاذان ١٢٥.
٩) الإرشاد/ الشيخ المفيد/ ج٢ص٩٠.
١٠) اللهوف في قتلى الطفوف/السيد ابن طاووس/ ص٥٤.
١١) الإرشاد/ الشيخ المفيد/ ج٢ص٩١.
١٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن عنبة ٣٥٦.
١٣) الأمالي، للشيخ الصدوق ٥٤٨.

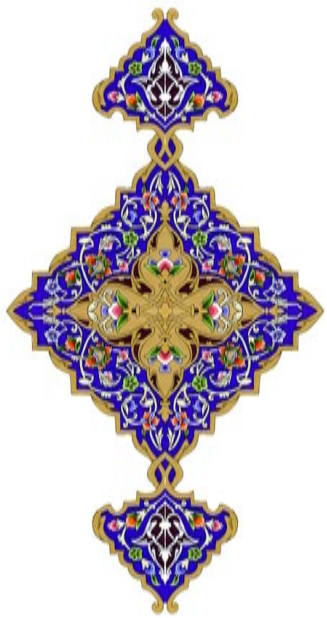

القيم الأخلاقية في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام

أ.م.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة/ كلية الآداب

المتأمل في ألفاظ زيارة العباس بن علي أمير المؤمنين عليه السلام يجد الكثير من القيم الأخلاقية التي أرّخها الإمام الصادق عليه السلام لأبي الفضل العباس عليه السلام، ومن هذه القيم:

١ـ التسليم والتصديق والوفاء: من أدلة إيمان العباس أن الإمام الصادق عليه السلام قد شهد له بالتسليم والتصديق في قوله: (أَشْهَدُ لَكَ بالتَّسْليم وَالتَّصْديق وَالوَفاء وَالنَّصيحَة لِخَلَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَآله...)[1] فحقيقة الايمان هو التسليم والتصديق بما أتى به النبي صلى الله عليه وآله[2]، ويعد التسليم من أقدس منازل السالكين وفوق مرتبة الرضا والتوكل فصاحب التوكل مسلوب الإرادة في حين لا يرى صاحب التسليم لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه،

ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة فهو قريب من عالم الفناء وهذه المرتبة لا تحصل إلّا بالوصول إلى أعلى مراتب اليقين[٣] التي أخبر عنها الإمام علي عليه السلام: (لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ مَا ازدَدتُ يَقيناً)[٤].

أما التصديق والوفاء الواردتان في الزيارة فيريد أن أبا الفضل في أرقى المراتب الخلقية لانبعاثهما عن التسليم، وهو حق اليقين فإنه المناسب لتصديقه بأخيه الإمام الحسين عليه السلام وبنهضته المباركة ووفائه له في ذلك الوضع الحرج، إذ أن وفاء إنسان لآخر كما يمكن لأجل الأخوة والرحم والصحبة يكون لأجل المعرفة التامة بما أوجب الله له من الحرمة والحق على الأمة.

على أن أبا الفضل قد وفى لخلف النبي المرسل ـ الإمام الحسين عليه السلام ـ في أقواله وأفعاله فمن ذلك أنه (لما اشتد العطش قال الإمام عليه السلام لأخيه العباس: (أجمع أهل بيتك واحفروا بئرًا) ففعلوا ذلك فوجدوا فيها صخرة، ثم حفروا أخرى فوجدوها كذلك، ثم قال له: (امض إلى الفرات وآتينا الماء)، فقال: (سمعًا وطاعة)، فضم إليه الرجال، فمنعهم جيش عمر بن سعد، فحمل عليهم العباس فقتل رجالًا من الأعداء حتى كشفهم عن المشرعة، ودفعهم عنها، ونزل فملأ القربة، وأخذ غُرفة من الماء ليشرب فذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته فنفض الماء من يده وقال: (والله لا أذوق الماء وأطفاله عطاش والحسين) وأنشأ يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني
فبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين شارب المنون
وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني
ولا فعال صادق اليقين[٥]

وبعد قتاله الباسل قطعت يده اليمنى فأمسك السيف باليد اليسرى، وهو يقول[٦]:

والله إن قطعتم يميني
إني أحامي أبدًا عن ديني
وعن إمام صادق اليقين
نجل النبي الطاهر الأمين

وقد امتدح الإمام الصادق عليه السلام هذا الوفاء في موضع آخر من الزيارة بقوله: (فَجَزاكَ اللّه أَفْضَلَ الجَزاءِ وَأَكْثَرَ الجَزاءِ وَأَوْفَرَ الجَزاءِ وَأَوْفى جَزاءِ أَحَد ممَّنْ وَفى بِبَيْعَتِه وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِه)[٧].

ومثّل أبو الفضل في سلوكه مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام حقيقة الأخوّة الإسلامية الصادقة، وأبرز جميع قيمها ومثلها، فلم يُبقِ لوناً من ألوان الأدب، والبرّ، والإحسان إلاّ قدّمه له، وكان من أروع ما قام به في ميادين المواساة له، أنه حينما استولى على الماء يوم الطفّ تناول منه غرفة ليشرب، وكان قلبه الزاكي كصالية الغضا من شدّة الظمأ، فتذكّر في تلك اللحظات الرهيبة عطش أخيه الإمام الحسين عليه السلام وعطش الصبية من أهل البيت عليهم السلام، فدفعه شرف النفس، وسموّ الذات إلى رمي الماء من يده، ومواساتهم في هذه المحنة الحازبة، فمن يتصفح تاريخ الأمم والشعوب لا يجد مثل هذه الأخوّة الصادقة، ومن ينظر في سجلّات نبلاء الدنيا لا يرى مثل هذا النبل، ومثل هذا الإيثار[٨]، فقد آثر أخاه مرتين مرة عندما وصل إلى الماء وأبى أن يشرب، والمرة الثانية حينما أخذ الإمام الحسين عليه السلام برأسه ووضعه في حجره فأبى، لأنّ أخاه

الإمام الحسين عليه السلام حين يُقتل لن يجد من يضع رأسه في حجره، لقد (اشتمل العباس بالوفاء، واشتمل به الوفاء، وتسربل بالإيثار، وتسربل به الإيثار، وتخندق بالشجاعة، وتخندقت به الشجاعة، لقد مثّل كل الفضائل، فتمثلت فيه كل الفضائل، وزادت قيمة جديدة في القيم اسمها ...العباس)[٩].

٢ـ الصبر والاحتساب والإعانة: في قول الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة (... فَجَزاكَ اللّه عَنْ رَسُولِه وَعَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَعَنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ أَفْضَلَ الجَزاءِ بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ، فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ)[١٠].

٣ـ النصيحة والمناصحة: وهما بمعنى واحد لكنهما اختلفا بالإضافة إلى ما نُسبا إليه من المضافات إليهما فإن كان المورد مورد مشورة وإبداء رأي أو مدافعة بالقول فقط فتلك نصيحة، وإن كان المورد مورد مجالدة لا مجادلة بمقال بل باجتذاب مشرفية فتلك مناصحة، والمعنى واحد، وهو الإخلاص قولاً وفعلاً، وقد بذل أبو الفضل تمام الجهد في نصيحة أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وفشت مناصحته له في الجهاد بين يديه والقيام بواجب الإخلاص والطاعة له[١١]، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: (أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيم وَالتَّصْدِيق وَالوَفاءِ وَالنَّصِيحَة لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِه...))[١٢]، وكذا في قوله عليه السلام: (أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لِلّه وَلِرَسُولِه وَلأَخِيكَ ...)[١٣]، وامتدحه في مناصحته لأخيه في جهاد أعدائه بقوله: (أَشْهَدُ وَأُشْهِدُ اللّه أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ البَدْرِيُّونَ وَالمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّه المُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ أَعْدائِه المُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيائِه الذّابُّونَ عَنْ أَحِبَّائِه ...)[١٤].

ولعل مناصحته تبدو ظاهرة جلية في موقف قُطعت فيه يمينه وشماله، وهو واقف في خطة الحرب ثابت في ساحة القتال لم يطلب لنفسه مأمناً، ولم يعد لأخيه الإمام الحسين عليه السلام يحتمي به من الأعداء، فقد حاذر أن يغتم الإمام الحسين عليه السلام لأجله فثبت في مركزه بعد قطع يديه، ووقف من غير يدين يذبّ بهما عن نفسه فكأنه جبل شامخ لم يتزعزع [١٥]، لذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يمتدحه بأنه قد بالغ في النصيحة، وأعطى غاية مجهوده فبعثه اللّه في الشهداء،وجعل روحه مع أرواح السعداء، وأعطاه أفسح الجنان ،وأفضل الغرف، ورفعه في عليين ـ وهي أعلى الجنان ـ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً في قوله: (أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصِيحَة وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهُود فَبَعَثَكَ اللّه فِي الشُّهَداء وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْواحِ السُّعَداء وَأَعْطاكَ مِنْ جِنانِه أَفْسَحَها مَنْزِلاً وَأَفْضَلَها غُرَفاً وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً)[١٦].

٤ـ زهده: يعد الزهد في الدنيا من الملكات المكتسبة، وذلك بالمواظبة على أعمال البر وأفعال الخير والإدراك بأن هذا النعيم زائل، وهذه اللذة فانية، وأن عند اللّه نعيماً سرمدياً أبدياً ولذات دائمة لا تبيد ولا تفنى، وقد نشأ العباس بصحبة أستاذه وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو أزهد الخلق ـ وبصحبة أخويه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام فاكتسب فضيلة الزهد ببركات صحبته إياهم[١٧]، يقول الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة: (فنِعْمَ الصَّابِرُ المُجاهِدُ المُحامِي النَّاصِرُ وَالأَخُ الدّافِعُ عَنْ أَخِيهِ المُجِيبُ

إلى طاعَة رَبِّه الرَّاغبُ فيما زَهدَ فيه غَيْرُهُ مِنَ الثَّوابِ الجَزيلِ وَالثَّناءِ الجَميلِ ...)[١٨]، وهذه الرغبة سببها الزهد في الدنيا[١٩].

٥- مواساته لأخيه: تجلت مواساة أبي الفضل لأخيه الإمام الحسين عليه السلام بثلاثة أنواع من المواساة: بالنفس والمال والكلام، وقد امتدحه الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة، ووصفه بأنه نعم الأخ المواسي لأخيه في قوله: (أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للّه وَلرَسُوله وَلأخيكَ فَنعْمَ الاَخُ المُواسي ...))[٢٠]، وكذلك فيما روي عن الناحية المقدسة (عج): (...السلام على العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن اللّه قاتليه يزيد بن الرقاد، وحكيم بن الطفيل الطائي)[٢١]■

---

١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ٥٠٨
٢) حلية الأبرار / السيد هاشم البحراني ٤٩/٢.
٣) ينظر: قمر بني هاشم/ السيد عبد الرزاق المقرم ٨٠ ،وجامع السعادات / محمد مهدي النراقي ٥٩٩.
٤) مسند الإمام علي/ السيد حسن القبانجي ٢٦٧/٧.
٥) ينابيع المودة لذوي القربى / القندوزي ٦٧/٣.
٦) مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٥٦٢/٦.
٧) مفاتيح الجنان ٥٠٩.
٨) ينظر: العباس بن علي رائد الكرامة والفداء في الإسلام/ الشيخ باقر القرشي ١٢.
٩) العباس بن علي بطولة الروح وشجاعة السيف/ السيد هادي المدرسي ٩.
١٠) مفاتيح الجنان ٥٠٨.
١١) موسوعة بطل العلقمي/ آية الله الشيخ المحقق الكبير الشيخ عبد الواحد المظفر ٢٤٧/٢.
١٢) مفاتيح الجنان ٥٠٨
١٣) المصدر نفسه ٥١٠.
١٤) المصدر نفسه ٥٠٩.
١٥) موسوعة بطل العلقمي ٢٦٣/٢.
١٦) كامل الزيارات/ ابن قولويه ٤٤٢ ،ومفاتيح الجنان ٥٠٩.
١٧) ينظر: موسوعة بطل العلقمي ٢٨٩/٢و٢٩٦.
١٨) مفاتيح الجنان ٥١٠.
١٩) ينظر: الطريق إلى منبر الحسين لنيل سعادة الدارين / عبد الوهاب الكاشي ٢٨ ٧/١.
٢٠) مفاتيح الجنان ٥١٠.
٢١) المزار / محمد بن جعفر المشهدي ٤٨٩.

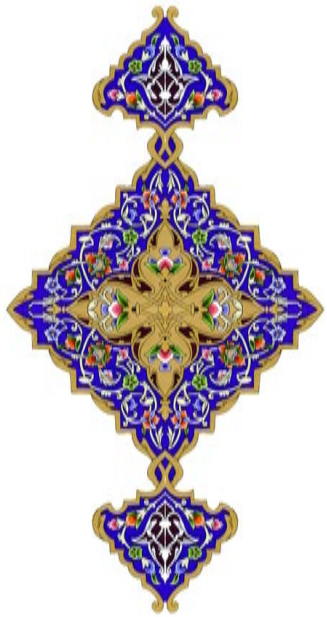

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام خير الأصحاب...

د. مجيد حميد الحدراوي
كلية الآداب/جامعة الكوفة

ينابيع

تزلزلت الدنيا لآل محمد
وكادت لهم صم الجبال تذوب
وغارت نجوم واقشعرت كواكب
وهتك أستار وشق جيوب
يُصلى على المبعوث من آل هاشم
ويُغزى بنوه إنَّ ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد
فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي
إذا ما بدت للناظرين خطوب[1]

إن يوم عاشوراء كان يومًا عصيبًا ورزءًا ثقيلًا، وإنه صار بعد الرزء والمصيبة ذكرًا وبعثًا جديدًا، فقد ظن بنو أمية أنّ الموت يُفني وأن بيت آل أبي طالب قد أُمحى، ولكن الموت لا يفني إلّا من أفنته الحياة من الضعفاء والجبناء، ولم تكن كربلاء إلّا إيذانًا ببقاء من ظنوا أنهم أموات، وموت من ظنوا أنهم أحياء، وزال بنو أمية ولم يؤجل في بوارهم شفاعة من مال ولا سلطان ولا جهد ولا حيلة، وبقي أبناء علي

وذرية الحسين عليهما السلام، بل بقيت الشيعة في بطن كل واد وفي صدر كل سهل وفي أنف كل ربوة، وفاحت عظام من ضحوا طيبًا في أنوف الثرى، وشذا مع النسيم تتعطر منه العصور والاجيال، ومن هذا المنطلق فقد مثّل الإمام الحسين عليه السلام ربيب الوحي وريحانة الهادي الرسول صلى الله عليه وآله متمم مكارم الاخلاق والمرسل لتطهير العالم من أدران الفساد مثّل شعور أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله الحي، وقدّم كل غال ونفيس لديه باذلًا في سبيل تحقيق الإصلاح في أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله من الجهود والتضحيات ما لا يطيقه غيره، فكانت نهضته المظهر الأتم للحق، في الدفاع عن حوزة الدين ومناهضة المنحرفين عن تعاليمه .

رأى الإمام الحسين عليه السلام سُنّة جده وتعاليمه العالية تمشي إلى الاضمحلال يومًا بعد يوم، بعدما هتك ذوو السلطان حرماتها وعملوا بخلافها تأييداً لسلطانهم وشفاء لأحقادهم الموروثة من جاهليتهم وإحياء لعصبياتهم التي حاربها النبي محمد صلى الله عليه وآله، وسلموا أمر الأمة على غير اختيار منها قوة وقهرًا لمن لا ترضاه مع معالنته بالفجور والتهتك واستباحته الحرمات وجهره بالإلحاد ذلك هو يزيد لعنة الله عليه القائل: (فلا خبر جاء ولا وحي نزل) يهتف بأشياخه الذين قتلوا ببدر وقد أعز الله بقتلهم الإسلام فلا ينكر عليه منكر ولا يوزعه وازع، رأى الإمام الحسين عليه السلام ذلك كله فلم يجد الحياة مع الظالمين إلّا برما، وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يمنعه عن نصرة الحق قتل أو تشريد، فرفض عليه السلام البيعة ليزيد ومن قبلها لأبيه معاوية لأن في البيعة إقراراً لهم على غوايتهم وإملاء لهم فيزدادوا إثمًا ويكون إثمهم سنة متبعة على تطاول الأمد إذا لم يقم في وجهها قائم، فأبى الإمام الحسين عليه السلام عليهم ذلك ورأى أمره بين السلة والذلة ويأبى الله وحجور طابت وطهرت أن يختار الذلة.

فآثر أن يسعى على جمرة الوغى برجل ولا يعطي المقادة عن يد

وخرج من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء معلنًا نهضته في وصيته التي كتبها لأخيه محمد، إذ يقول فيها: (... وأني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين ...)[٢]، ولأجل منعه من تحقيق مشروعه الإصلاحي عمل الأمويون على قتل روح الشجاعة والإقدام في نفوس المسلمين عامة وأهل الكوفة خاصة الذين كانوا قد كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام يبايعونه ويطالبونه بالقدوم اليهم، إلّا أنهم سرعان ما انقلبوا وتنكروا لوعودهم وعهودهم بعد أن بث فيهم دعاة بني أمية روح التحاسد والتنابذ فتقطعت الأرحام بينهم فتنازعوا وفشلوا وذهبت ريحهم وتراخى أهل الدين والصلاح في عقر ديارهم مخلدين إلى الذلة رهبة من سيف الظالم الفاتك الذي قتل الأخيار واستبقى الأشرار وأصبح الأمر بيد من لا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمة .

وعلى الرغم من الرهبة وقوة البطش الأموية برزت صفوة من الأخيار آمنوا بقضية الإمام الحسين عليه السلام والتفوا حوله،

إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدىً وإيمانًا، نعم أولئك أصحاب الحسين عليه السلام الذين ضربوا المثل الأعلى في التضحية في سبيل المبادئ الحرة وفي مقاومة الظلم والظالمين مع أنهم كانوا على علم بما سيكون من جيش يزيد من السبي والسلب وما زادهم ذلك إلا إيمانًا بالله ورسوله وحبًا بأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، فقد تضاعف فيهم النشاط وحب التضحية وتعلقت قلوبهم بالإمام الحسين عليه السلام إلى حد أنهم نسوا أنفسهم وأطفالهم ونساءهم، وقد شهد الحسين عليه السلام إنهم خير الأصحاب وأبرهم .

جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ليلة العاشر من المحرم التي وقع القتال في صبيحتها وخطبهم فقال: (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحابًا هم خيرٌ من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حِلٍ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)[٣]، وكان جواب أصحاب الحسين لا يختلف عن جواب أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وآل عقيل، بأنهم لا يتركوه حتى يضحوا بأنفسهم في حضرته، وقد صدقوا القول بالعمل وكانوا متيمين بحبه وألسنتهم تلهج بذكره حتى لحظات النزع وخروج الروح، فكان يخرج أحدهم إلى القتال يذبّ عن الإمام الحسين عليه السلام فإذا خرَّ إلى الارض صريعًا يميل بطرفه نحو الإمام الحسين عليه السلام ويلفظ اللفظة الأخيرة التي يلفظ روحه معها: السلام عليك يا أبا عبدالله، مشيرًا بيده إلى من بقي من أصحابه يوصيهم بالموت دون الإمام الحسين عليه السلام.

ولنتحدث على سبيل المثال لا الحصر عن نموذج واحد من أولئك الأصحاب الأبطال الميامين ومستوى التربية والإعداد النفسي الذي كانوا عليه قبل حصول واقعة الطف، ونموذجنا هنا هو (جون) مولى أبي ذر، وأبو ذر معروف بولائه لأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله والاحاديث مشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله في حقه: (ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)[٤]، فهو صاحب اللهجة الصادقة والشخصية المحبوبة عند الله ورسوله والمؤمنين كان يصيح في الناس: (أمير المؤمنين حقّا، عليّ بن أبي طالب، إنّه لربّ هذه الأرض وربّ هذه الأمّة، لو فقدتموه لأنكرتكم الأرض ومن عليها)[٥]، عرف الإمام علي عليه السلام حقيقة أمر أبي ذر وكان شديد الحب له وكثير الاحترام لمقامه لا يناديه إلّا يا أخي وكان الحسن والحسين يناديانه ياعم، فرقَ لحاله وأراد أن يخفف عنه بعض المتاعب فأهداه عبدًا يدعى (جون، كان عبدا أسود للفضل بن عباس بن عبد المطلب، اشتراه أمير المؤمنين عليه السلام بمائة وخمسين دينارا ووهبه لأبي ذر ليخدمه وكان عنده إلى الربذة)[٦] يساعده على أمر معاشه ويخفف عنه بعض المتاعب، فأكبر أبو ذر هدية مولاه المعظم أيّ إكبار، وأقبل على تعليم جون وتهذيبه حتى اكتسب تعاليم سيده وتسربت إلى نفسه بدون مشقة، كان لها أجمل الأثر في خاتمة حياته.

لم تكن معاملة أبي ذر لجون معاملة السيد لعبده، بل معاملة النظير لنظيره

طبقًا لنص التعاليم الإسلامية فعاش جون في ظل مولاه أبي ذر في أحسن عيش وشعر بلذة لم يعهدها من قبل، وبقي مع سيده إلى أن انتقل أبو ذر إلى روح وريحان بعد أن أدى إلى أمة محمد صلى الله عليه وآله أمانة الله ورسوله ولاقى من الدنيا وأبنائها ما يلاقيه كل حر صريح لا تأخذه في الله لومة لائم .

فلما توفي أبو ذر رجع جون وانضم إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن عليه السلام ثم إلى الحسين عليه السلام[٧].

تخرّج جون من مدرسة أبي ذر ودخل جامعة العلوم الكبرى جامعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مصدر الأخلاق والآداب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد لازم جون خدمة أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن توفي أبو ذر رضي الله عنه وانتقل من عالم السماع إلى عالم المشاهدة حيث رأت عيناه كرامات الإمام وأهل بيته وفضلهم وعظمتهم فوق ما سمعته أذناه من قبل أبي ذر فازداد تعلقًا بأهل البيت عليهم السلام وحبًا لهم وتفانيًا في خدمتهم والتضحية في سبيل مقاصدهم، وحببت إليه مواعظ الإمام وإرشاداته الجهاد بالنفس في طريق الصلاح والدفاع عن الحق وأهله.

وهكذا قضى جون حياته ملازمًا للعظماء ينتقل من واحد إلى آخر حتى أصبحت نفس جون من التقوى ومكارم الأخلاق بالمكان الذي يشاؤه الأئمة علي والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم أبو ذر رضي الله عنه.

عندما توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى نعراق صحب معه (جون) ليحافظ على العيال والرحل، فقام بوظيفته قيام القوي الأمين، وعندما وصل إلى كربلاء مع سيده شاهد وحدة سيده الإمام الحسين عليه السلام وقد أحاط به الأعداء بجيشهم الضخم والخوف الذي ملأ قلوب أطفاله ونسائه فلم يبق لجون من عمل سوى الجهاد دون أهل البيت عليهم السلام ثم الفوز بالدارين وبلوغ المراتب العالية ليكسب فرصة نيل الفضيلة وتخليد الذكر الطيب، وقلما يسمح الدهر بمثل تلك الفرصة لنيل الشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام بعدما خذله المتسمون بسمة الأحرار المتبجحون بشرف الأجداد الذين يرون لأنفسهم التفوق على سود البشرة بدون وجه حق.

تقدم جون من الإمام الحسين عليه السلام وطلب الإذن بقتال الأعداء، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: (أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلبًا للعافية، فلا تبتل بطريقنا)[٨]، أحب الإمام الحسين عليه السلام بكلامه هذا أن يظهر عظمة جون وسمو مقامه وبيان فضله لدى العام والخاص، إذ إنه أقدم على هذا العمل الجليل عن إرادة واختيار ليستوجب الثناء الجميل والشكر الجزيل. قال جون: (يا بن رسول الله أنا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم! والله إن ريحي لنتن وإن حسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفس عليَّ بالجنة فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم)[٩].

برز جون إلى المعركة واستشهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قتل جماعة من جيش عمر بن سعد، وبشهادته طاب ريحه بانتشار صيته وتخليد ذكره، وابيض وجهه لمشاركته لأهل البيت عليهم السلام بالعمل الطيب والمواساة بالنفس، فجون عبد بجسمه ولكنه ملك بروحه وعمله، وهو فوق هذا العالم الذي يميل مع النعمة حيثما مالت ويلازم صاحبها ما دامت بفنائه، فإذا زالت زال معها وانحرف وتلك أخلاق اللئام الأسافل،

فما أضر بجون وعظمة نفسه وتخليد ذكره نسبته إلى العبيد الأرقاء بعد أن كان حسن العمل طيب الذات، ولم يجد انتساب أولئك الذين ران الله على قلوبهم وركسوا في الضلالة والعمى إلى قريش وغيرها من قبائل العرب ذات الحسب والنسب بعد أن كانت أعمالهم مظلمة كنفوسهم، ولم تمنع عروبتهم وكرامة أجدادهم الذم والعار الذي لحق بهم إلى قيام الساعة، ولم يدرأ عنهم حسن وجوههم وبياضها العذاب الأليم، فالنسب وحسن الوجه أمران خارجان عن الاختيار والقدرة فلا يسوغ المدح والذم عليهما والافتخار بهما. وهذا واحد من أعظم الدروس الذي قدمته نهضة الإمام الحسين عليه السلام، والتي امتازت بإنسانيتها، وهذه سمة أصيلة من سمات الإسلام المحمدي الاصيل، فقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله يأمر أهل بيته بحسن الأعمال ويحذرهم من الاعتماد على انتسابهم إليه والاتكال على شرف منزلته عند الله، فإن ذلك لا يجديهم شيئًا إذا كانت الأعمال غير مرضية لها سبحانه.

بأي كلمات نعبر عما تكنه روح أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وتحمله قلوبهم، أنعبرُ عنه بالإخلاص والإيمان بقضية الإمام الحسين عليه السلام؟ كل ذلك لا يسع المعنى المقصود! فإنا نجهله ولا نعرف كنهه حيث بلغ درجة من العظمة لا تتوصل إليها أفهامنا! فكثير من الناس إذا تلي عليهم ذكر الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فلا يتسرب إلى أرواحهم شيء من ذلك الإخلاص وحب التضحية، ولا ينفذ إلى قلوبهم نقطة من ذاك النبع الصافي، والأثر كل الأثر هو لرنة صوت القارئ وحسن نغمته، ولا ريب أن هذا ينقطع بانقطاع الصوت ويخمد بسكونه، ما أكثر التعازي وأقل المخلصين؟! يخرج السامع من مجلس التعزية كمن يخرج من حفلات اللهو المعقودة لقتل الوقت، ويحدث عن حسن صوت القارئ أو قبحه، ولم يدر أنه كان في أهم المدارس وأعظمها على الإطلاق التي يدرس فيها أبرز أسباب التطور والتحرر من الاستعباد وتحطيم القيود التي تحجر على الأفكار والألسنة أن تنطق بالحق وتتفوه بالصواب في وجه أهل الظلم والبغي، ويتلى فيها قول الإمام الحسين عليه السلام: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)[10]، وكلمة ولده علي الأكبر عليه السلام: (... إذًا لا نبالي أن نموت محقين!)[11]■

---

١) المناقب/ ابن شهر آشوب/ ج٣ص٢٩٦/ أبيات تنسب إلى محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية.
٢) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٤ص٣٣٠.
٣) الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص٢٢٠.
٤) مسند أحمد/ أحمد بن حنبل/ ج٥ص١٩٧.
٥) تفسير كنز الدقائق/ الشيخ محمد القمي/ ص٢٤٢.
٦) مستدرك سفينة البحار/ الشيخ علي النمازي/ ج٢ص١٣٩.
٧) نفس المصدر.
٨) اللهوف في قتلى الطفوف/ ابن طاووس/ ص٦٥.
٩) نفس المصدر.
١٠) الإرشاد/ الشيخ المفيد/ ج٢ص٩٨.
١١) نفس المصدر.

في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

جعفر بن محمد القزويني (ت١٢٩٨هـ)

لو يحمد الدمع على غـــير بني ... أحمد منه الدمع حزنًا مارقا
الباذلـــين في الإله أنـــفسًا ... لأجلها ما في الوجود خلقا
إذا ذكرت كرب يـــوم كـــربلا ... تكاد نفسي حزنًا أن تزهقا
جلّ فـــهان كـــلّ رزء بعـــده ... يأتي وأنسى كلّ رزء سبقا
ما سئموا ورد الـــردى ولا اتقوا ... بأس العدا ولا تولّوا فرقا
غصّ بهم فم الـــردى من بعد ما ... كان بهم وجه الزمان مشرقا

(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج١٣ص١٦٤)

السيد صادق الفحام (ت١٢٠٥هـ):

يا كربلا ما أنـــت إلّا كـــربة ... عظمت على الأحشاء والأكباد
كم فتنة لك لا يـــبوخ ضـــرامها ... تربي مصائبها على التعداد
ماذا جنـــيت على النـــبيّ وآله ... خير الورى من حاضر أو بادي
كم حرمة لمحـــمد ضيّعـــتها ... من غير نشدان ولا إنشاد
لهفي لهاتـــيك الصـــوارم فلّلت ... بقراع صمّ للخطوب صلاد
لهفي لهاتيك الـــزواخر أصبحت ... غورًا وكنّ منازل الروّاد
لهفي لهاتيك الكـــواكب نـــورها ... في الترب أخمد أيّما إخماد

(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج١٣ص٣٠٢)

استشهاد جون مولى أبي ذر رضي الله عنه:

برز جون مولى أبي ذرّ إلى القتال، وهو ينشد ويقول :

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود ... بالسيف ضرباً عن بني محمّد
أذبّ عنهم باللسان واليـــد ... أرجو به الجنّة يوم المورد

ثمّ قاتل حتّى قتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: أَللّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، وَاحْشُرْهُ مَعَ الأَبْرارِ ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام، عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: أنّ الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جون بعد عشرة أيّام يفوح منه رائحة المسك رضوان الله عليه.

(البحار/ المجلسي/ ج٤٥ص٢٣)

دور المرأة في فاجعة الطف

الشيخ الدكتور أحمد علي الخفاجي
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

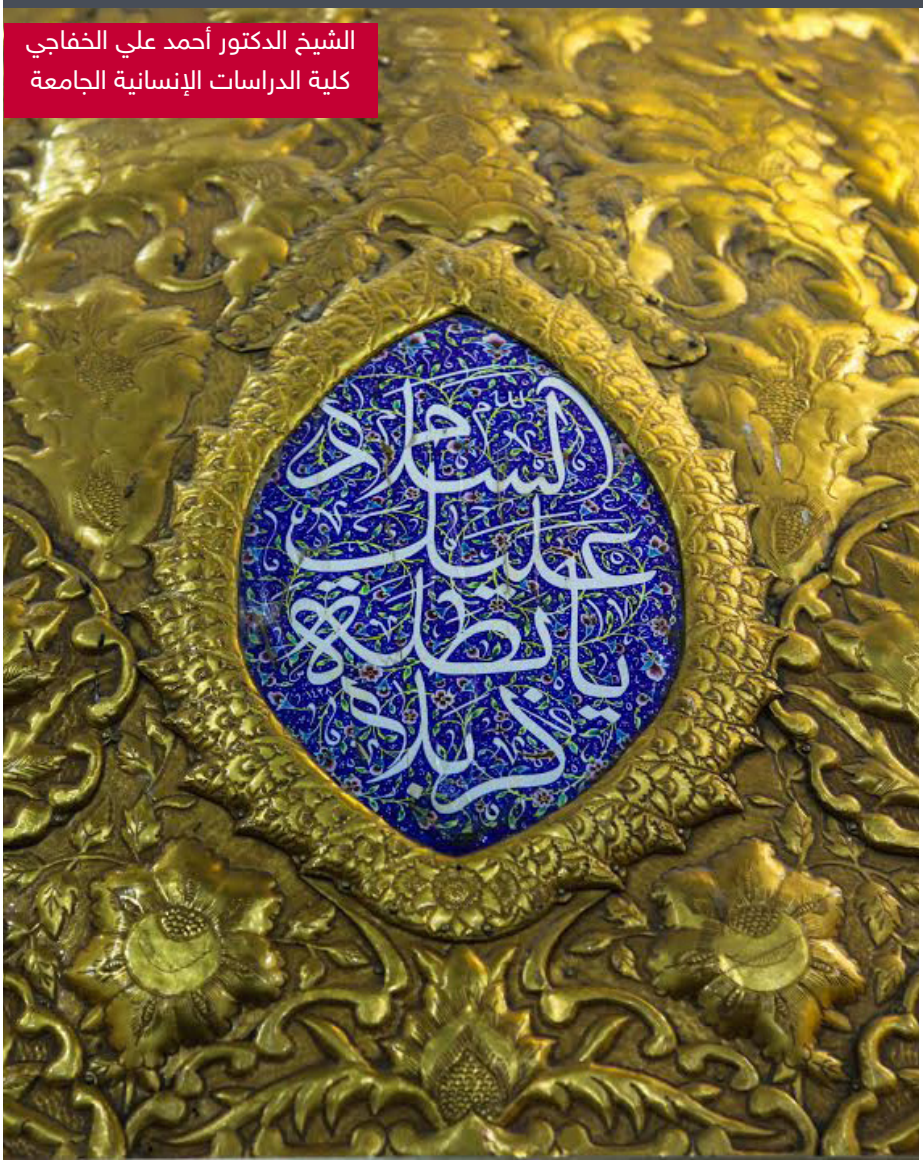

ينابيع

لقد زخرت آيات القرآن الكريم بالحديث عن نساء سجلن على صفحات الإنسانية مواقف ناصعة، في سبيل إعلاء كلمة الله والدفاع عن الشرائع السماوية، وأخريات أعطين دروسًا في الجهاد والفقه، رغم ما كان يكتنف عصورهن من ظلم وطغيان، فيروي لنا قصصاً عن نساء الأنبياء وأمهاتهن وبناتهن وأزواجهن، فهذه أم موسى عليها السلام وهذه مريم العذراء عليها السلام وتلك ابنة شعيب زوجة النبي موسى عليه السلام،وهذه آسية بنت مزاحم زوجة فرعون وغيرهن كثيرات.

كذلك تزخر كتب التاريخ والسيرة بسير نساء كن مثالاً في النبل والكرامة والشجاعة والوفاء، والعفة والطهارة، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، فكانت على رأسهن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام، وأمها الصديقة خديجة الكبرى عليها السلام أولى المجاهدات بمالها وصبرها وعونها للنبي صلى الله عليه وآله من أجل دين الله.

تشهد كتب التاريخ وكتب السير والكتب التي تناولت واقعة الطف أن للمرأة دور كبير في هذه المعركة، فلقد كان في الثائرين الزوج والأخ والولد، وقد كان للمرأة موقف بطولي في كربلاء يجعلنا نهتز ونقف له إجلالاً واحترامًا وتقديرًا.

لقد كانت المرأة أمًا وأختًا وزوجةً في طليعة الثائرين المناضلين، المضحين الباذلين لضريبة الدم.

ولا نتحدث هنا عن زينب عليها السلام ولا عن أخواتها فمستوى سلوكهن لم يبلغه بشر، وإنما نتحدث عن نساء عاديات جدًا، كن إلى أيام قلائل قبل يوم كربلاء مشتغلات بما يشغل كل امرأة من شؤون بيتها وزينتها، وتربية أولادها، والتحدث مع جاراتها، نساء لا تربطهن بالثائرين رابطة دم، ولكن تربطهن بهم رابطة مبدأ، ورابطة عقيدة، فضحين بالولد، والزوج مستبشرات ثم ضحين بأنفسهن في النهاية، وهنا نحاول الوقوف على أسماء أبرزهن، وأدوارهن:

أولًا: مارية بنت منقذ العبدي:

المرأة التي موّلت الثائرين، إذ كانت أرملة استشهد زوجها في معركة الجمل نصرة لأمير المؤمنين عليه السلام، ومع هذا كانت موالية للحق دون أي ملل أو كلل، وكانت تحوز مكانة مرموقة في المجتمع العلوي البصري، وتمتلك أموالاً طائلة، ولما بدأ الصراع العلوي الأموي على أشده فتحت بيتها للزعماء الموالين لآل الرسول صلى الله عليه وآله، ولعلي وبنيه عليهم السلام، ليكون ناديًا فكريًا يناقش فيه الزعماء قضايا الأمة، ومركز اتصال وتواصل لدعم المعارضة، ولما عرفت بوصول رسائل الإمام أبي الاحرار عليه السلام إلى أشراف البصرة، خرقت ببكائها الغاضب محفل الأشراف الذين كانوا يجتمعون في بيتها لتقول كلمتها المدوية بعدما سألوها عن سبب غضبها وبكائها: (ويلكم ما أغضبني أحد، ولكن أنا امرأة ما أصنع؟ سمعت أن الحسين ابن بنت نبيكم استنصركم وأنتم لا تنصرونه؟، فأخذوا يعتذرون بعدم امتلاكهم السلاح والراحلة، عندها أخذت كيسًا مليئًا بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية، وأفرغته أمامهم وقالت: (فليأخذ كل منكم ما يحتاجه وينطلق في نصرة سيدي ومولاي الحسين)[1]، فيا ترى من جاد بماله في نصرة الحق والعقيدة؟ ، فهذه المرأة قد ضربت مثلًا ساميًا لما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة، وإن كان ما قامت به فوق السمو ؛ لأن المرأة ـ إلا ما عصم الله ـ تميل

بطبعها إلى حب المال واقتناء الحلي، بينما هذه المرأة المؤمنة أنفقت مالها في سبيل نصرة الحق وأهله.

إذاً كان دور هذه المرأة الصالحة نابعًا من وحي إيمانها بمبادئها، فكانت تدفع باتجاهين: معنوي ومادي، أما المعنوي فهو شحذ الهمم، وأما المادي فتمثل في تمويل الثوار.

ثانيًا: طوعة الكوفية:

وهي المرأة التي آوت الثائر الذي وجد نفسه وحيدًا بعد أن نقض الكوفيون عهودهم ومواثيقهم مع الإمام الحسين عليه السلام، فقد كانت هذه المرأة كباقي النساء تحمل حبًا لابنها الوحيد، فكانت تقف بالباب تنتظر قدومه خوفًا من أن يصيبه مكروه، وكانت قلقة عليه فترة غيابه عن البيت، وكانت الكوفة آنذاك في انتفاضة عارمة ضد الطاغية يزيد وأعوانه وجلاوزته الذين كانوا يمارسون القمع والاضطهاد، فبينما هي واقفة كعادتها على الباب وإذا بالثائر المنتفض والسفير القائد على بابها، إنه مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام يبحث عن شربة ماء يسد بها رمقه، وعن ملجأ آمن يأوي إليه من غدر الغدرة، فقد تعرفت عليه طوعة من حديث دار بينهما، فلم تتردد ولو للحظة في القيام بالواجب الملقى على عاتقها من إيواء الثائر المخلص، فقامت بالترحيب به، وأسرعت بخفة معهودة عند النساء، فجهزت له بيتًا يأوي اليه وهيأت له كل مستلزمات الضيافة والتكريم، وجاء ابنها المدلل بلال ذلك المتعاون مع السلطة، الذي كان من مصاديق قوله تعالى: (**وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**) (يونس:٣١)، ولما عرف بالأمر أخذ يفكر في هذا الصيد الثمين الذي كان يبحث عنه وكان من أمره أن أخبر السلطان بالأمر، وكان من أمر مسلم خوض المعركة مع الظالمين حين جاؤوا للقبض عليه، وما كان أمام طوعة إلا أن تتبرأ من ابنها بلال: (**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**) (هود: ٤٦) فتعتذر من مسلم بن عقيل: (**لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**) (الكهف: ٧٣) وطلبت من الله الغفران: (**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**) (البقرة: ٢٨٦) ومسلم ينهض ليستعد لمواجهة القوم ويلتفت إليها: (**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ**) (يوسف: ٩٢)، فأخذ يودعها ويقول: (رحمك الله وجزاك عني خيرًا). فمن يا ترى احتضن رجلًا خطيرًا كمسلم؟[٢]، فكان دورها (رضوان الله عليها) إيواء ذلك الثائر الذي عجز الرجال عن احتضانه معرضة حياتها للخطر، فكانت مثالًا للشجاعة والإيثار والتضحية ونكران الذات.

ثالثًا: الأسدية:

وهي زوجة علي بن مظاهر الأسدي من المؤمنات الموالي لأهل البيت عليهم السلام التي مَنَّ الله عليها بشرف صحبة الركب الحسيني والتزود من معاشرة عقيلة بني هاشم وأخواتها وبنات أخيها، وشاركت بحبها ومشاعرها ودموعها وعقلها وجسمها بنات الرسالة في أحداث كربلاء وما بعدها من سبي وسفر بعيد وسياط مؤلمة وجوع وعطش واشتهار في شوارع الكوفة والشام الذي هو أشد المصائب على مخدرات الرسالة والمؤمنات اللواتي معهن، ونقف على عظمة هذه المرأة الموالية التي ملئت حبًا وتضحية لأهل البيت عليهم السلام والتي تلبست بثوب الصابرين فنالت مقامهم الرفيع، وصارت قدوة للنساء،

وأسوة في الموالاة والمودة لأهل البيت عليهم السلام[٣]، فجسد موقفها هذا إيمانها بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، فهي بذلك خير من رجال هذه الأمة التي جاءت لقتل الإمام عليه السلام بل هي خير من رجال عُدّو من الصحابة اختاروا السلامة على المشاركة.

رابعًا: دلهم بنت عمرو الكوفية:

ورد اسمها هذا في بعض المصادر التاريخية، وورد في البعض الآخر باسم (ديلم بنت عمرو)[٤].

ولم نجد لها ذكرًا في كتب الرجال ولا التاريخ إلّا بعد أن جاء رسول الحسين عليه السلام يدعو زهيرًا.

بيد أن موقفها الذي سجله لها التاريخ بكل عزّ وافتخار جعلها في رتبة النساء المميزات، وكشف عن عمق ولائها ومعرفتها بالحق، وأدبها الرفيع في التعامل مع إمامها وزوجها. روى الطبري عن أبي مخنف، قال: فحدثتني دلهم بنت عمرو وامرأة زهير بن القين[٥].

قالت لزوجها: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لا تأتيه؟، فلو أتيته فسمعت من كلامه فمضى زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه، فحوّل إلى الحسين عليه السلام وقال لإمرأته: انت طالق، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلّا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي، ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها كي يوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته، وقالت: كان الله عونًا ومعينًا، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام[٦]، فقال لأصحابه: من أحب أن يصحبني وإلّا فهو آخر العهد مني به.

وبالرغم من أن هذا النص التاريخي لا يتضمن أكثر من موقف واحد لا أكثر، إلّا أنه يكشف عن صورة تكاد تكون شاملة تؤدي إلى تفاصيل تستوعب حياة هذه الحُرّة العظيمة، لأن عقل الإنسان لا يعرف إلّا في المواقف الصعبة التي تحتاج إلى اتخاذ القرار في مدة وجيزة لتحديد المسار على مفترق الطرق، سيما إذا كان الطريقان من الخطورة بمكان، فأما إلى الجنة والسعادة الأبدية، وإما إلى النار والشقاوة السرمدية، فهذه الزوجة أدركت بحسها المرهف، وشعورها اللطيف أن زهيرًا وقع في ورطة بين أولئك الرجال الذين كانوا يحيطونه، وكانوا على الأغلب عثمانية - كما نص على ذلك بعض المؤرخين- فتحركت بعقلها ومداراتها لتستوعب الموقف وتخرج زهيرًا من حرجه بين القوم، فانبرت تحرضه على قبول دعوة ابن رسول الله، لتكون مشجعة له من جهة، وتقدم له مبررًا أمام القوم للاستجابة من جهة أخرى، وهكذا يجب أن يكون دور المرأة الصالحة التي هي عاملة من عمال الله في الأرض، يهمها سعادة زوجها، وأن تراه في الموضع الذي يحبه الله ورسوله وابن رسوله، ولا تستسلم لأنانيتها وخلودها إلى الدعة والراحة، فإذا ضمنت ما يرضيها لا تعير بالاً لما أصاب زوجها خيرًا كان أم شرًا، سعيدًا كان أم شقيًا.

وهكذا يكون دور هذه المرأة التضحية والفداء والتأثير المباشر على زوجها في انقلاب المعتقد والأفكار، وهذا قلما نجده عند باقي النساء، فهي قامت بدورين: تمحيص الرأي، والنصرة والتضحية.

خامسًا: أم وهب النصرانية، وزوجته:

أم وهب بن حباب الكلبي، وقيل أم وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي، المرأة التي آمنت وضحت، قد كانت وابنها وهب على الديانة النصرانية، ولم يعرفا عن الإسلام ما يجعلهما يفكران بجد في التحول عن معتقدهما، ولكن الألطاف الإلهية جمعت بينهما وبين الإمام الحسين عليه السلام حيث نزلا في مكان سبقهم الإمام الحسين عليه السلام إليه، فأخذت هيبة الإمام الحسين عليه السلام في نفسه وأمه مأخذًا عظيمًا، فدخل نور الهداية قلبهما بعد أن تحدَّثا للإمام عليه السلام، وبعد أن علما أنه نهض لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، قررا الالتحاق به، فلما وقعت واقعة الطف كان دور الأم دورًا مشرفًا، فقد وقفت موقف الأم التي تشجع ولدها على القتال لتقدمه شهيدًا بعد أيام من إسلامها بين يدي ابن صاحب الرسالة، ولم تكتف بذلك بل وبعد استشهاده أخذت بيدها عمود الخيمة، وأخذت تدافع عن الحسين وآله عليهم السلام، فلما شاهدها الإمام سارع إلى إرجاعها إلى الخيمة معلّمًا إياها أن الجهاد قد وجب على الرجال دون النساء ووعدها بالجنة وضمن لها ذلك، أي إنها ضمنت الجنة بعد ثلاثة عشر يومًا فقط من إسلامها[٧]، فضربت بذلك مثلاً للنساء الموالیات الصابرات المؤمنات اللاتي حضرن في كربلاء عازمة على المواساة، غير راضية إلّا بقتل فلذة كبدها وقرة عينها ولدها وهب بين يدي إمامه عليه السلام، علمًا أن هناك امرأة أخرى تكنى بأم وهب وهي: أم وهب بنت عبد، اسمها قمر، أو قمري زوجة عبد الله بن عمير الشهيد بأرض الطف يوم عاشوراء[٨].

أما زوجته فكانت مثال المرأة المجاهدة، فقد نزلت بعد استشهاد زوجها حاملة عمودًا بيدها، تدافع عن عقيدتها ودينها، فأرجعها الإمام الحسين عليه السلام ودعا لها، وكانت قد منعته في بداية القتال من النزول إلى ساحة الوغى- على اعتبار أنهما كانا عروسين – ويقال أن وهب لما خرج للقتال، وأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد، وكان معه امرأته وأمه، فرجع إليهما، وقال: يا أماه أرضيت أم لا؟، فقالت الأم: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك. فقالت له أمه: يا بني اعزب عن قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيك تنل شفاعة جدِّه يوم القيامة.

فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه، فأخذت امرأته عمودًا فأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل كي يردها إلى النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، وقالت: لن أعود دون أن أموت معك، فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيت خيرًا، ارجعي إلى النساء رحمك الله[٩].

وبهذا يكون دورهن الإيثار المطلق، فقد آثرن طاعة المعصوم على محبة الولد والزوج والعيش برفاهية ونعيم.

سادساً: بحرية الخزرجية:

بحرية بنت مسعود الخزرجي، وهي أم عمرو بن جنادة، كانت مثالاً للمرأة التي تجهز ابنها للشهادة، وكانت ممن حضرن كربلاء مع زوجها جنادة بن كعب الخزرجي، فلما استشهد زوجها بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وبما أنها لم تمتلك وسيلة أخرى للدفاع عن الحق غير هذا الولد الذي لم يتجاوز

العقد الأول من عمره، بادرت فألبسته لامة الحرب وقلدته السيف، وقالت له: اخرج بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله ﷺ وعند خروجه للحرب رآه الحسين عليه السلام فقال: هذا شاب قتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره خروجه، فقال الغلام: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمي إن أمي أمرتني بذلك، وهي التي حملتني السيف، فرخصه الحسين عليه السلام حتى جاء المعركة مرتجزًا:

أميري حسين ونعم الأمير
سرور فؤاد البشير النذير
له طلعة مثل شمس الضحى
لـــه غرة مثل بدر منير

فقاتل حتى نال شرف الشهادة، فقطع الأعداء رأسه ورموا به إلى جيش الحسين عليه السلام، فأخذت الأم رأس ولدها ورفعته على صدرها، وقالت: أحسنت يا ولدي ويا قرة عيني وقامت وأخذت عمود خيمة وحملت على جيش ابن سعد وقالت مرتجزة بأرجوزة أم وهب، فأرسل إليها الحسين عليه السلام وأمرها بالرجوع[١٠].

فمن يا ترى اليوم من نسائنا تمتلك قلبًا مفعمًا بالإيمان والشجاعة كقلب هذه الموالية؟ فقد كانت حقًا سخية في تضحيتها، عارفة بتكليفها الشرعي، موالية محبة لأهل البيت عليهم السلام، زاهدة في دنياها راغبة في آخرتها■

---

١) إبصار العين في أنصار الحسين/ محمد بن طاهر السماوي/ ص٢٥.
٢) أعلام النساء المؤمنات: محمد الحسون، أم علي مشكور/ص٥٤٤-٥٤٥.
٣) معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين/ محمد مهدي المازندراني الحائري/ ص٢٠٨.
٤) الملهوف على قتلى الطفوف/ ابن طاووس/ ص١٥٣.
٥) تاريخ الطبري/ محمد بن جرير الطبري/ ص٤٤٩.
٦) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٤ص٣٧٢.
٧) معجم أنصار الحسين: محمد صادق محمد الكرباسي/ ص١٠٣-١٠٤.
٨) المصدر نفسه، ص٢١٨.
٩) الملهوف على قتلى الطفوف، مصدر سابق، ص٤٤.
١٠) رياحين الشريعة في ترجمة عالمات نساء الشيعة: الشيخ ذبيح الله المحلاتي/ ج٣ ص٣٠٤.

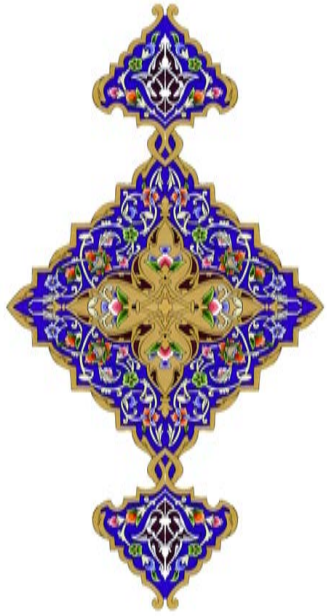

السيد حيدر الحلي (رحمه الله)
وقصيدته العينية (الله يا حامي الشريعة)

إعداد: محمد علي جعفر
كاتب وباحث إسلامي/ بغداد

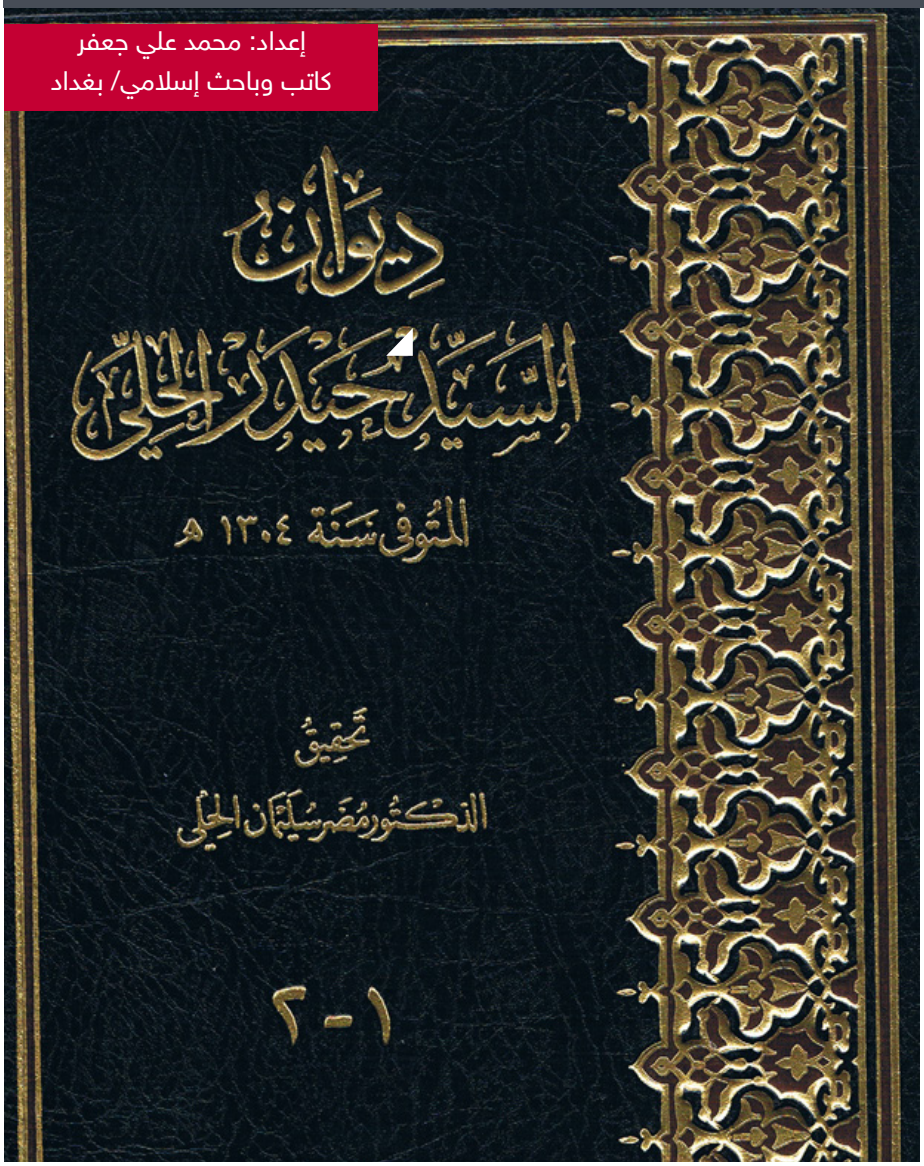

اسمه ونسبه:

هو أبو الحسين، السيد حيدر بن السيد سليمان الحلي، ينتهي نسبه إلى زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين عليه السلام.

مولده ونشأته:

ولد السيد حيدر في الحلة، وكان مولده في (١٥) شعبان سنة (١٢٤٦هـ)، الموافق سنة (١٨٣٠م) وقبل أن يكمل عامه الثاني فقد والده، وكانت وفاته بالحلة يوم التاسع من ربيع الثاني وحمل إلى النجف فدفن في الصحن الحيدري الشريف أمام الرأس الشريف. فعاش يتيماً، وتولى تربيته عمه السيد مهدي السيد داود ورباه على أرقى الأساليب التربوية وتعهده كما يتعهد أحد أولاده. لذا ترى هذا العطف يبدو عليه في الحزن الذي شمله والذي أعرب عنه في رثائه لعمه.

وطفق من أول نشأته يحفظ الشعر ويعالج النظم كأنه مطبوع عليه حتى أحرزت قصائده استحساناً عظيماً في أندية الأدب، وتفاءل قراء شعره بنبوغه في الفن، كما أنه في نثره لا يقل عن نظمه فصاحة وبلاغة.

قرأ الكثير من شعر العرب وحفظ المجلدات من أخبارهم وتتبع الفصيح من أقوالهم، والمأثور من كلامهم والبديع من صناعتهم. لذا تراه في شعره فصيح المفردات، قوي التركيب، بديع الصنعة، وقلّ أن تشاهد شاعراً متأخراً سلم من المعايب كما وقع له. يصطاد اللفظ الرقيق ويفرقه بمعنى أرق منه دون أن تجد نبْوة أو حشوة.

شاعريته:

ولعل التحدث عن شاعرية السيد حيدر في غنى عن البسط والتحليل بالنظر لما عرفه الأدباء وغيرهم. وللسيد حيدر كوكبة من القصائد الخالدة في رثاء جده الإمام الحسين عليه السلام، لم ينضم مثلها في عالم الرثاء، وقد استنهض في كثير منها الإمام المنتظر (عج) وطلب منه الخروج ليطهر الأرض من ذئاب البشرية وعلوج الشرك وأنصار الأمويين، منها قوله:

من حامل لولي الأمر مالكة
تطوى على نفثات كلها ضرم
يابن الأولى يقعدون الموت إن نهضت
بهم لدى الروع في وجه الضبا الهمم
الخيل عندك ملتها مرابطها
والبيض منها عرى أغمادها السأم
لا تطهر الأرض من رجس العدا أبدا
ما لم يسل فوقها سيل الدم العرم

حقاً إن السيد حيدر الحلي شاعر فذ في كافة الميادين، فقد كان يشعر بالزعامة الأدبية رغم منافسة أعلام الشعر في النجف له وملاكمتهم إياه، ولعل القصة التي ذكرت غير مرة وهي: عندما رثى العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني بقصيدته المعروفة:

قد خططنا للمعالي مضجعا
ودفنا الدين والدنيا معا

وسكوت أدباء النجف عن الاستعادة والاستجادة لها دفعه أن يثور ثورته التي خاطب بها الأديب الكبير الشيخ محسن الخضري بقوله: إذا كان في المجلس من أعتب عليه لصمته وتغافله عن أداء حق هذه المرثية فهو أنت. فلم يبق للشيخ الخضري إلاّ أن أجابه بقوله:

ميزتني بالعتب بين معاشر
سمعوا وما حيٌ سواي بسامع

أخرستني وتقول مالك صامتاً
وأمتني وتقـول مالك لا تعي

كان شاعراً مجيداً من أشهر شعراء العراق أديباً ناثراً جيد الخط نظم فأكثر ولاسيما في رثاء الإمام الحسين عليه السلام فقد حلّق بالرغم من أن معاصريه من فحول الشعراء وأكابر الأدباء فقد فاقهم حتى اعترفوا له بالفضل.

قالوا فيه:

قال السيد في الأعيان : وكان لغوياً عارفاً بالعربية شهماً أديباً، وقوراً تقياً عليه سمات العلماء الأبرار كثير العبادة والنوافل كريم الطبع. في الطليعة أخبرني السيد حيدر الحلي قال رأيت في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام فأتيت اليها مسلماً عليها مقبّلاً يديها، فالتفتت إليّ وقالت:

أناعيَ قتلى الطف لا زلتَ ناعيًا
تهيج على طول الليالي البواكيا

فجعلت أبكي وانتبهت وأنا أردد هذا البيت.

قال الزركلي في (الأعلام): السيد حيدر شاعر أهل البيت في العراق أديب إمامي شعره حسن، وكان مترفعاً عن المدح والاستجداء موصوفاً بالسخاء له ديوان شعر سماه (الدر اليتيم) وأشهر شعره حولياته في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

يستعطف السيد حيدر الإمام المهدي عليه السلام ويستحثه على الخروج في كثير من شعره الذي يهز أعماق النفوس طالبا من الإمام أن ينزل عقابه الصارم على القوى الباغية التي أذاقت آل النبي صلى الله عليه وآله أنواعا مريرة من الغصص والكوارث.

ترجم له الكثير وقرضوا شعره إذ هو الشاعر الذي لم يزل يحتفظ بمكانته السامية في نفوس الشعراء والعلماء والادباء ولم تضعضع الأيام ولا مرّ السنين من رفعته وجلالته وتقديره.

آثاره الأدبية:

ولشاعرنا السيد حيدر آثار أدبية :

١ ـ كتاب دمية القصر في شعراء العصر.
٢ ـ العقد المفصل.
٣ ـ الأشجان في خير إنسان.
٤ـ ديوان شعره. ولم يكن مجموعاً في حياة الناظم وإنما جمعه ابن أخيه السيد عبد المطلب باقتراح من الحجة السيد حسن الصدر قدس سره. وقد طبع في الهند سنة ١٣١٢هـ ثم أعيد طبعه مرة ثانية بنفس الطباعة الحجرية.

وفاته:

توفي السيد حيدر في مسقط رأسه ـ الحلة ـ عشية الأربعاء في الليلة التاسعة من ربيع الثاني وعمره ٥٩ سنة، ودفن في النجف الاشرف في الجهة الشمالية من الصحن الحيدري أول الساباط بين مرقدي السيد ميرزا جعفر القزويني والشيخ جعفر الشوشتري، ورثاه فريق من الشعراء كالسيد الحبوبي والسيد إبراهيم الطباطبائي، والشيخ حمادي نوح، والحاج حسن القيم، والشيخ حسون العبدالله والشيخ محمد الملا، وولده السيد حسين وابن أخيه السيد عبد المطلب، وعقد له العلامتان السيد محمد القزويني وأخوه السيد حسين مأتم العزاء بدارهما في النجف الأشرف.

عينيته الخالدة:

إن في رثاء الحلي لجده أبي الأحرار

ما يفتت القلوب ، فقد رثاه بذوب روحه وبكاه أمرّ البكاء وأقساه، وحسب أنه من المنكوبين بهذه الفاجعة الكبرى التي ما أصيب المسلمون ولا امتحنوا بمثلها، فقد أخلدت لهم الأسى والحزن فلم يرع السفكة المجرمون من بني أمية أي حرمة للنبي ﷺ في ذريته وأهل بيته عليهم السلام، فقد حصدت سيوفهم بوحشية قاسية رؤوس أولئك الأحرار الذين ثاروا من أجل تحرير الإنسان من الظلم والاستبداد.

ومن القصائد الخالدة التي تحمل بين ثناياها لوعة وألم واستنهاض الإمام صاحب العصر والزمان (عج) قصيدته الرائعة: (اللّه يا حامي الشريعة) والتي بقيت ترددها الأجيال وتصدح بها حناجر الخطباء إلى يومنا هذا.

وهذا نصها كما في ديوانه رحمه الله:

اللّه يا حامي الشريعة
أتقر وهي كذا مروعة
بك تستغيث وقلبها
لك عن جوى يشكو صدوعه
تدعو وجرد الخيل مصغية
لدعوتها سميعة
وتكاد ألسنة السيوف
تجيب دعوتها سريعة
فصدورها ضاقت بسر
الموت فأذن أن تذيعه
ضربا رداء الحرب يبدو
منه محمر الوشيعة
لا تشتفي أو تنزعن
غروبها من كل شيعة
أين الذريعة لاقرار
على العدى أين الذريعة
لا ينجع الامهال بالعاتي
فقم وأرق نجيعه
لصنع ما أبقى التحمل
موضعا فدع الصنيعة
طعنا كما دفقت أفاويق
الحيا مزن سريعة
يا بن الترائك والبواتك
من ضبا البيض الصنيعه
وعميد كل مغامر
يقظ الحفيظة في الوقيعة
تنميه للعلياء هاشم
أهل ذروتها الرفيعة
وذووا السوابق والسوابغ
والمثقفة اللموعه
من كل عبل الساعدين
تراه أو ضخم الدسيعة
أن يلتمس غرضا فحد
السيف يجعله شفيعه
ومقارع تحت القنا
يلقى الردى منه قريعة
لم يسر في ملمومة
إلا وكان لها طليعة
ومضاجع ذا رونق
ألهاه عن ضم الضجيعة
نسي الهجوع ومن تيقظ
عزمه ينسى هجوعه
مات التصبر بانتظارك
أيها المحيي الشريعة
فانهض فما أبقى التحمل
غير أحشاء جزوعة
قد مزقت ثوب الأسى
وشكت لواصلها القطيعة
فالسيف إن به شفاء
قلوب شيعتك الوجيعة
فسواه منهم ليس ينعش
هذه النفس الصريعة

طالـــــت حـــــبال عــوانق ما ذنب أهل البيت
فمتى تعود به قطيعة حتى منهم أخلوا ربوعه
كم ذا القعود ودينكم تركوهم شتى مصارعهم
هدمت قواعده الرفيعة وأجمعـــها فضيـــــعة
تنعى الفروع أصوله فمغيب كالبدر ترتقب
وأصوله تنعى فروعه الورى شوقا طلوعه
فيه تحكم من أباح ومكابد للسم قد سقيت
اليوم حرمته المنيعة حشاشـــــته نقـــــيعه
من لو بقيمة قدره ومضرج بالسيف آثر
غاليت ما ساوى رجيعه عزه وأبى خضوعه
فاشحذ شبا عضب له ألفى بمشرعة الردى
الأرواح مذعنة مطيعة فخرا على ظمأ شروعه
إن يدعها خفت لدعوته فقضى كما اشتهت الحمية
وإن ثقلت سريعة تشكر الهيجا صنيعه
واطلب به بدم القتيل ومصـــــفد لله سلـــــم
بكربلا في خير شيعة أمر ما قاسى جميعه
ماذا يهيجك إن صبرت فلقسره لم تلق لولا
لوقعة الطف الفضيعة الله كفا مستطيعة
أتـــرى تجـــيء فجـــيعة وسبية باتت بأفعى
بأمض من تلك الفجيعة الهم مهجتها لسيعة
حيث الحسين على الثرى سلبت وما سلبت محا
خيل العدى طحنت ضلوعه مد عزها الغر البديعة
قتـــــــلته آل أمـــــية فلتغد أخبية الخدور
ظام إلى جنب الشريعة تطيح أعمدها الرفيعة
ورضيعه بدم الوريد ولتبد حاسرة عن الوجه
مخضب فاطلب رضيعه الشريـــفة كالـــوضيـعة
يا غيـــرة الله اهتـــفي فأرى كريمة من يواري
بحمية الدين المنيعة الخدر آمنة منيعة
وضبا انتقامك جردي وكرائم التنزيل بين
لطلا ذوي البغي التليعة أمية برزت مروعه
ودعي جنود الله تملأ تدعو ومن تدعو وتلك
هذه الأرض الوسيعة كفاة دعوتها صريعة
واستأصلي حتى الرضيع واها عرانين العلى
لآل حرب والرضيعة عادت أنوفكم جديعة

ما هز أضلعكم حدأ
القوم بالعيس الضليعة
حملـــت ودائعـــكم إلى
من ليس يعرف ما الوديعة
يا ضل سعيك أمة
لم تشكر الهادي صنيعه
أأضعت حافظ دينه
وحفظت جاهلة مضيعة

آل الرسالة لم تزل
كبدي لرزئكم صديعة
ولكـــم حلـــوبة فكرتي
در الثنا تمري ضروعه
وبكم أروض من ألقوا
في كل فاركة شموعه
تحكي مخائلها بروق
الغيث معطية منوعة
فلـــدي وكفـــها وعـــنه
ســـواي خلـــبها لمـــوعة
فتقـــــــبلوها إنـــني
لغد أقـــــدمها ذريعة
أرجو بها في الحشر
راحة هذه النفس الهلوعة
وعلـــــيكم الصلـــوات ما
حنـــت مطـــوقة سجوعة

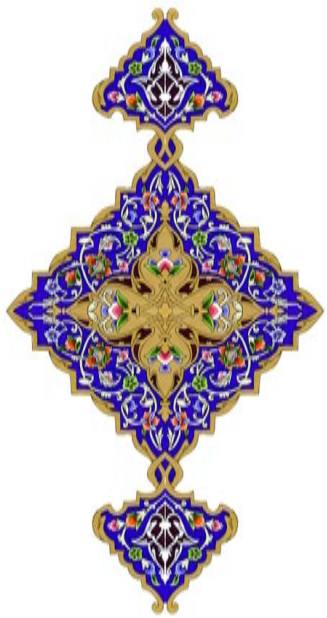

المصادر:

- (أدب الطف/جواد شبر/ ج٨ص٨).
- (حياة الإمام المهدي/ باقر شريف القرشي/ ص٥٢٣).
- (ديوان الشاعر السيد حيدر الحلي).

في الذاكرة

شهر محرم الحرام

يعتبر شهر المحرَّم الحرام، بداية السنة الهجرية.

١ رأس السنة الهجرية.

٢ وصول رَكبُ الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أرض كربلاء سنة ٦١هـ.

٣ وصول عمر بن سعد بن أبي وقاص على رأس جيش الكوفة إلى أرض كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

٣ وفاة السيد محمد بن الحسين (الشريف الرضي) جامع خُطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه المعروف المُسمّى بـ (نهج البلاغة) عام ٤٠٦هـ.

٩ محاصرة الإمام الحسين مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه في أرض كربلاء عام ٦١هـ.

١٠ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب أهل الجنّة في معركة الطف المروّعة غير المتكافئة، التي آلت إلى استشهاده وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، على يد المجرمين العتاة من بني أمية (عليهم لعائن الله)، وذلك في عام ٦١هـ.

١١ مسير جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص بسبايا أهل بيت النبوة عليهم السلام وهم أُسارى مُرَبَّطين بالحبال من كربلاء إلى الكوفة.

١٥ فتح قلعة خيبر اليهودية على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤هـ.

١٥ ولادة السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر قدس سره (ابن طاووس) عام ٥٨٩هـ.

١٧ ولادة الشيخ البهائي بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي في مدينة بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣ هـ.

١٧ نزول العذاب على جيش أبرهة (أصحاب الفيل) حينما أرادوا هدم الكعبة المشرفة فجعلهم اللّه (كعصف مأكول)، وذلك في العام الذي ولد فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عام ٥٣ قبل الهجرة.

١٨ تحوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة سنة ٢هـ.

٢٢ وفاة الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والشهير بالشيخ الطوسي عام ٤٦٠هـ.

٢٥ استشهاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ودفن في البقيع بالمدينة المنورة عام ٩٥هـ.

٢٥ مقتل الخليفة العباسي الأمين في بغداد على يد أخيه المأمون عام ١٩٨هـ.

٢٦ وفاة علي بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليهم السلام في سجن المنصور العباسي عام ١٤٦هـ.

٢٨ سقوط الدولة العباسية على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو الذي دخل بغداد بعد محاصرتها لفترة قصيرة، فأسر آخر خلفاء الدولة العباسية، (المستعصم باللّه) ثم قتله مع أولاده، وبذلك انتهى الحكم العباسي عام ٦٥٦هـ.

في الذاكرة

شهر صفر الخير

١ بداية حرب صفين عام ٣٦ هـ.
١ دخول قافلة عيال الحسين عليه السلام سبايا إلى الشام عام ٦١هـ.
٢ شهادة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
٣ ولادة الإمام الباقر عليه السلام عام ٥٧هـ (على رواية).
٤ صلب زيد بن علي عليهما السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
٧ استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٥٠هـ.
٧ ولادة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الأبواء عام ١٢٨هـ.
٨ وفاة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن عام ٣٥هـ.
٨ وفاة المرجع الأعلى السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره عام ١٤١٣هـ.
٩ استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧هـ.
٩ حرب النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج عام ٣٨هـ.
١٣ اختيار التحكيم في صفين عام ٣٧هـ.

١٤ استشهاد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحرق جثمانه بأمر عمرو بن العاص عام ٣٨هـ.

١٦ سقي السم للإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون العباسي عام ٢٠٣هـ.

١٧ استشهاد الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ.

١٩ وصول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأصحابه إلى كربلاء عام ٦١هـ.

٢٠ أربعين الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع الرأس الشريف إلى الجسد الطاهر عام ٦١هـ.

٢٤ اشتداد مرض النبي صلى الله عليه وآله عام ١١هـ.

٢٥ طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وكتفًا ليكتب لهم كتابًا لن يظلوا بعده أبدًا وامتناع القوم من ذلك عام ١١هـ.

٢٦ أمر النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد عام ١١هـ.

٢٦ طلب النبي صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام إحضار دواة وكتف لكتابة أسماء الأوصياء من بعده أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم بقية الله الأعظم عليه السلام عام ١١هـ.

٢٦ وفاة المرجع الكبير السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في ظروف غامضة عام ١٤١٤هـ.

٢٨ عروج روح النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ.

٢٨ دفن النبي صلى الله عليه وآله في منتصف الليل عام ١١هـ.

مشروع الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح المجتمع

الدكتور حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة

ينابيع

حملت النهضة الحسينية مشروعًا كبيرًا تمثّل في إصلاح الأمة وتخليصها من براثن الفساد الذي أراد بنو أمية إحلاله في المجتمع وصرف الناس عن الدين الإسلامي الصحيح.

إلّا أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت لهم بالمرصاد، فقد وقفت بينهم وبين نواياهم الشريرة في إفساد المجتمع من خلال اتباع شتى الوسائل، إلّا أن هذه الوسائل لم تؤثر على أصحاب الإيمان الراسخ بسبب تمسكهم بالدعوة الإسلامية الصحيحة تجسيدًا لقوله تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُمْ**) (الأنفال: ٢٤)

إن المتأمل في النص القرآني يلاحظ أنه يؤكد على إطاعة الله ورسوله، لأن هذه الطاعة تؤدي إلى النجاة والحياة، وليس هناك من شك في أننا كأمة إسلاميّة أمام كمٍّ من التحديات والمؤامرات المتوالية التي لاهمَّ لصُناعها إلّا سحق وجودنا وإلغاء قيمنا وتلويث أخلاقنا، حتى نبقى في عالم الوجود أشباحاً بلا أرواح وديناً بلا قيم ودولة بلا نظام وسلوكاً بلا أخلاق وعملاً بلا تقوى، ولا ندري لأي خطاب نصغي، ذلك هو عين الخطيئة التي لا تغتفر.

بيد أن السماء رسمت لنا ملامح خطاب متقن في هذا المجال، لقوله تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**) (الأنفال: ٦٠). وقد بات واضحاً بأن هذا النص لا يختص بالقتال فحسب بل بقوة الإيمان والوعي والرقابة الذاتية وكل ما يكون مقومًا لمسيرة الأمة ونهضتها التصحيحية.

فالذي يتضح أن الدين هو المنهج الذي رسمه الله تعالى لفرض تكامل الإنسان مصداقاً لقوله تعالى: (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ**) (آل عمران: ١٩)، بما يؤكد خاتمية الأديان بالدين الإسلامي الحنيف، ويمثل ضرورة حياتية تتبنى حاجات الإنسان، وتحقق أغراضه الأساسية في الدنيا والآخرة، فالميل النفسي إلى الدين تعبير فطري مركوز في أعماق النفس الإنسانية ومتأصل فيها، ومهما انحرف الإنسان عن منهج الله تعالى وابتعد فلن يستطيع طمس أو تغيير فطرته التي جُبل عليها بالنظر، لقوله تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) (الروم: ٣٠). وهذا

يا ثارالله
السلام على الدماء السائلات
السلام على المخضب بالدماء

الالتزام بالإسلام من الإنسان لا يتأتى من فراغ وإنما يعود لعدة أسباب، منها:

أ- ميله لإشباع حاجته الذاتية نحو الارتباط بالمعبود المطلق، فالإنسان يشعر بالفقر والضعف والعجز في وجوده الخارجي، وبحاجته إلى قوة بدليل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ (فاطر: ١٥).

ب- البناء الروحي والكمال النفسي. لأن الدين يحقق العلاقة الوثيقة بين الإنسان وربه بوصفه المثل الأعلى الذي يستوعب كل التطلعات الإنسانية، مما يعني أنّ هذا الدين هو دين الرحمة والمحبة والسلام للإنسانية جمعاء، دون فرق بألوانهم وأقوامهم وأعمارهم. لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣).

ج- تماسك المجتمع البشري واستقراره من خلال التشريع الصالح، فالدين بما يحمله من منظومة عقدية، فكرية، تشريعية، أخلاقية لا بد من أن يتوافق مع طبيعة الإنسان وطموحاته، ويؤكد البعض (إن ما يصنعه الدين في حياة الإنسانية من قوة أخلاقيّة لغرض تهذيب سلوك الإنسان، وتصحيح المعاملات، تدفع إلى تطبيق قواعد العدل والمساواة، ومقاومة الفوضى والفساد، ناهيك عما يقدمه الدين من تأليف القلوب والترابط بين الناس بالمحبة والتراحم والتسامح، وهو رباط لا يعدله رباطٌ آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة، كل ذلك من أجل البلوغ إلى صناعة الأمة الصالحة)[١].

ولا غرو لقولنا أن الدين- خطاب إلهي- فإنه يحمل مشروعًا حضاريًا لإصلاح الإنسانية بجميع أبعادها الحياتية، خصوصًا مشروعه الإصلاحي الذي يتعلق بمبادئه المقدسة وتثبيتها وتعميمها، مما نعتقد بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عواتقنا، لأن مثل هذا الدين الذي اتخذه المؤمنون طريقًا هاديًا إلى العزة والكرامة وإنقاذًا للإنسانية من حتمية السقوط الأخلاقي، لهو بأمس الحاجة إلى منظومة إصلاحية نهضوية تقترن مع مهامه الكبرى لغرض إيضاح خطابه أمام البشرية في كل زمان ـ لاسيما الأجيال التالية ـ بالشكل الذي يكون فيه الخير والصلاح والاستقامة للأمة جمعاء بعيدة عن دائرة الفساد والإفساد، فالحاكم وحكومته القائمة أينما حلت في مدار الأرض ما دامت على غير هدي القرآن لابد لها أن ترعى حقوق رعيتها وتسمع لما يدور في خواطرها، وحل مشاكلها حتى لو أمضت الحالة أن تعلن معارضتها لحكومة ذلك الحاكم، فلا ينبغي له أن يستبد برأيه ويستأثر في موقعه وينهب الثروات تحت ذريعة عدم الطاعة، وأعتقد أن ذلك ما حدث فعلا في زمن حكومة النظام الأموي، لذا أكد بعض علماء الأمة تجسيده لهذا المعنى بقوله: (ومن الجدير بالاهتمام معرفة أن حق الحاكم في الطاعة ليس أمرًا ذاتيًا يتصل بشخصه، إنما هو أمر عام يتصل بمصلحة الأمة في قضاياها المصيرية، وذلك ما يجعل نقده ومحاسبته ومعارضته قضية ترتبط بالرأي العام ومصالح الأمة وليس بالرأي الخاص) [٢].

ومن دواعي الفخر والاعتزاز بالأمة التي وصلت إلى حد في ممارسة حريتها السياسية أن تفتح ملفات الحاكم والحكومة، وتعيد النظر في سلوك الأنظمة السابقة وتكشف ما هو ضعيف منها وما هو خطأ وما هو صواب، وإنها من أكبر النعم الإلهية التي تحتاج إلى الشكر والعرفان،

إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور في هذا العصر، قياسًا في قرون سالفة لا يستطيع أحدنا فيها أن يؤشر ولو همسًا على ماذا تعمل السلطة على هذه القضية أو تلك، حيث كانت الأمة تُقاد مرغمة إلى حروب الدمار والقتل بغية وصول ذلك الحاكم إلى مآربه الخاصة، وليس من حقها أن تناقش النتائج السلبية لتصرفاته الكارثية على الأمة.

الاستبداد السلطوي عند حكام بني أمية

يكشف الأسلوب الذي يمارسه الحاكم الأموي في حينه عن نفسيّة غير منضبطة في دينها، وهناك جملة من الشواهد التي اقتطعناها من كتب التاريخ تبين لنا بإسهاب خطب وأوامر ومواقف أولئك الحكام فنرى أن أبرز الأمويين معاوية مثلًا لم يكن على قدر من إنسانية الإسلام وخلق المسلمين في ذلك العهد فإذا قدّر لنا أن نعتبر الإسلام ثورة على عرب الجاهلية آنذاك فلا نجد أن هذا الرجل قد انفك من الإثرة والاستبداد ذلك ما نطلع عليه في مواقف متعددة منها:

١. أنه (نظر في أحوال الجماعة على أنها قطعان يغزى بها وتغزى وعلى أنها مصدر قوة وثروة لصاحب الوجاهة والنفوذ)[٣]، فإذا نحن أدركنا تشدّد المسلمين الأوّلين في أمر دينهم وأخبارَهم في الاستشهاد في سبيله، وإنكارَهم كلّ ما ينهى عنه وتخوّفَهم من الإثم ساعةَ يتأثمون، واحترامَهم العظيم لكلّ كلمة نطق بها الرسول إنْ أمرًا كان أو نهيًا، أدركْنا أنّ معاوية لم يدخل في جماعة المسلمين بوصفهم قومًا يدينون بعقيدة روحيّة أخلاقيّة ذات أوامرَ بالمعروف ونواه عن المنكر كما أنّه لم يدخل في جماعة المسلمين بوصْفهم جنودًا في ثورة اجتماعية وسياسية تستهدف الإصلاحَ العامّ في مجتمع كانت تسوده الفرديةُ والعصبية منذ حين. فالمهمّ في الأمر ما يراه معاوية لا ما يراه باعثُ تلك الثورة الإصلاحية في المجتمع.

٢- فأيّ حلم وأيّةُ مروءَة يجد المُطْنبون في مدح معاوية الذي كانت سياسته محصورةً في منطق القاهر مع المقهور وفي تصرّف الوجيه القويّ مع الضعيف البائس، فهي سياسة عنف وقسوة وأثرة وَضَعَ خطوطها لمن جاء بعده عن أمية فاستغلّوها على أنين الملايين من البشر في أنحاء الإمبراطورية الأمويّة وهو يقول عندما سَيّرَ المجرم بسر بن أرطاة إلى المدينة (سِر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخِفْ مَن مررت به، وانهب أموالَ كلّ من أصبتَ له مالاً ممّن لم يكن له دخلٌ في طاعتنا)[٤].

أي حلم وأيّةُ مروءَة يجد هؤلاء في معاوية وهو كذلك سَيّرَ سفيان بن عوف الغامدي إلى العراق ويقول له: (إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق تُرعب قلوبَهم وتُفرح كلّ مَن له فينا هوىً منهم وتدعو إلينا كلّ من خاف الدوائر. فاقتلْ مَن لقيتَه ممّن ليس هو على مثل رأيك، وأخربْ كلّ ما مررت به من القرى، وانهب الأموال فإنّ حرب الأموال شبيهٌ بالقتل وهو أوجع للقلب)[٥].

٣- وقد شهد معاوية على نفسه مراراً بأنّه لم يُنصف في سياسته ولم يعدل، ولم يقف وقفةً في حياته إلى جانب حقٍّ ظهر أو عدل سطع. ومن شهادته على نفسه حديثٌ له يدور على جانب من سياسته ثم على نظرته العامّة إلى معنى العدل في

الناس وإلى قيمته حسب ما رواه الريحاني في كتابه حدّث المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: (دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمًا فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمًا منذ الليلة ؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به . إنك قد بلغت سنًا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرًا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! مَلَكَ أخو تيم ـ يعني أبو بكر ـ فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبا بكر، ثم ملك أخو عديّ ـ يعني عمر بن الخطاب ـ، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ـ ويقصد النبي ﷺ ـ ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمدًا رسول الله)، فأي عملي يبقى؟ ، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك ؟! لا والله إلّا دفنًا دفنًا)[٦].

٤- وكان يقول للناس يوم خفّ إلى مكة ليقنعهم ببيعة ابنه يزيد ومعه الجنْد وحقائب الأموال: (وأردت أن تقدموه ـ يعني يزيد ـ باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك فسكتوا ... فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم إنه قد أعذر من أنذر إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني علي رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح ... فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه فلا يبقين رجل إلا علي نفسه)[٧].

وكان معاوية يقول: (الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي)[٨].

وعلى مثل هذا الجوّ من الطغيان الفرديّ يعلّق محمد الغزالي صاحب الإسلام والاستبداد السياسي بقوله: (إنّ طغيان الفرد في أمّة ما جريمةٌ غليظة، وإنّ الحاكم لا يستمدّ بقاءَه المشروع، ولا يستحق ذرّةً من التأييد، إلاّ إذا كان معبّراً عن روح الجماعة ومستقيماً مع أهدافها... ثم يقول في مكان آخر: إنّ الاستبداد الأعمى عدوُ الله، وعدوّ رسله، وعدوّ الشعوب وقد ظهر أنّ تفكير المستبدّين واحد على اختلاف العصور، وأنّهم لا يتركون غرورَهم مهما تلطّف المصلحون معهم، بمثل هذه السياسة اغتصب معاوية السلطة وحوّل الخلافة إلى ملك والشورى إلى وراثة في بنيه. وهو في ذلك كلّه تعبيرٌ صميم عن النفسية الأمويّة في الجاهلية والإسلام[٩].

إن مثل هذه الشواهد وغيرها الكثير ليس في نفس معاوية فحسب رغم أنه مؤسس المنهج الأموي، إلا أنه أصبح دينًا جديدًا بمناهج ومعايير جاهلية محضة كادت أن تكون دينًا بديلاً عن الإسلام المحمدي الأصيل، ولعادت الأمة إلى الجاهلية الأولى ولعفي الإسلام ولم يبق منه حتى آثاره، لولا تصدي الإمام الحسين عليه السلام بنهضته الإصلاحية المباركة،

حيث قدم نفسه المقدسة وأولاده وإخوته وأصحابه،ولسان حاله يقول: (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي ياسيوف خذيني) ليعيد بذلك للأمة هويتها ونهجها وللدين رونقه وأصالته■

١) د. محمود حماد، الإعلام الإسلامي والمكونات الذاتية، ص٢١٠
٢) تأملات في الحرية السياسية، مجلة المنطلق، بيروت عدد٤١ رجب ١٤٠٨هـ.
٣) صوت العدالة الانسانية/ جورج جرداق/ نقلاً عن موقع: العرفان الاسلامي.
٤) تاريخ اليعقوبي/ ج٢ص١٩٧.
٥) شرح النهج/ ابن أبي الحديد/ ج٢ص٨٦.
٦) شرح النهج/ ابن أبي الحديد/ ج٥ص١٣٩.
٧) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ ج٣ص٥١٠.
٨) مروج الذهب/المسعودي/ ج٣ص٤٣
٩) الإسلام والاستبداد، محمد الغزالي، ص٣٤٠.

فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام

* عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل.

*عن الوشاء، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن لكل إمام عهدًا في عنق أوليائه وشيعته، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.

*عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركًا حقًا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم.

* عن عبد الله بن بكير في حديث طويل، قال: قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: يا ابن بكير إن الله اختار من بقاع الأرض ستة: البيت الحرام، والحرم، ومقابر الأنبياء، ومقابر الأوصياء، ومَقاتِل الشهداء، والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، يا ابن بكير هل تدري ما لمن زار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام إذ جهله الجاهل؟، ما من صباح إلّا وعلى قبره هاتف من الملائكة ينادي: يا طالب الخير أقبل إلى خالصة الله ترحل بالكرامة وتأمن الندامة يسمع أهل المشرق وأهل المغرب إلّا الثقلين، ولا يبقى في الأرض ملك من الحفظة إلّا عطف عليه عند رقاد العبد حتى يسبح الله عنده، ويسأل الله الرضا عنه. ولا يبقى ملك في الهوى يسمع الصوت إلّا أجاب بالتقديس لله تعالى.....). **(كامل الزيارات/ ص٢٤٠)**

المنبر الحسيني
المدرسة الإسلامية المتحرّكة

الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

يعد المنبر في الإسلام الوسيلة الإعلامية الرئيسة التي يعتمد عليها لنشر أحكامه ومناهجه، والمدرسة التي اعتمدها رسول الله ﷺ في تبليغ الرسالة وتعليم المسلمين مختلف الأحكام والتشريعات التي أُمر بتبليغها، وكذلك سار أمير المؤمنين عليه السلام على نهج رسول الله ﷺ في ذلك. أما بعد وفاة رسول الله ﷺ وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، فقد تبنته السلطات المنحرفة الظالمة باتجاهات ثلاثة:

١- اتجاه خدمتها وخدمة مصالحها، ودعم مراكزها ورموزها، وتوجيه المدح والثناء والإطراء على الطغاة والولاة الظلمة، الذين اعتلوا مراكز السلطة بالقهر والجور.

٢- اتجاه تزييف وتشويه الفكر الإسلامي، وتحريف الأحكام والمفاهيم الإسلامية بما يخدم مصالح تلك السلطات، وحرف الفكر الإسلامي عن دوره في الإصلاح والتغيير.

٣- اتجاه تشويه القادة الشرعيين، والحط منْ منازلهم وقدرهم في نظر الجماهير الإسلامية، بواسطة تجنيد المرتزقة المنحرفين والمتلبسين بزيّ القادة الدينيين، ليخلق انحرافهم أزمة ثقة بين الأمة وقادتها الربانيين.

أما مع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فقد تأسس المنبر الحسيني ليتحرك بالاتجاه الإيجابي في سبيل تربية الأمة وإعدادها على أساس قيم النهضة الحسينية، فكانت مسؤوليته من مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام تجاه الرسالة والأمة لتفادي الانحراف.

وقد اتسمت حركة المنبر الحسيني عبر قرون من الزمن، بتنقلها منْ قرية إلى قرية ومنْ مدينة إلى مدينة، وقد اتسعت حركتها في الوقت الحاضر لتصبح متنقلة منْ دولة إلى دولة، لتعم بحركتها كل بقاع الأرض، وما ذلك إلّا لكون الإمام الحسين عليه السلام قد اتسع صدره لكل هموم الرسالة والأمة على امتداد وجودها.

إن أول منبر تأسس للإمام الحسين عليه السلام لأداء هذه المسؤولية هو في ساحة الطف، تلك الساحة التي لا تزال تلقي من قمة عليائها كلمة حسين الرسالة، التي تمتزج فيها المأساة الكبرى مع المضامين الخالدة في نهضته عليه السلام، ولا تزال هذه الساحة تحمل في كل ذرة من ترابها المطهر معنى عظيماً منْ معاني النبل والإباء والإيثار والتضحية والفداء.

فهذه الساحة منبر ناطق بصمته عن كيفية التعامل الذي التزمه الإمام الحسين عليه السلام

السلام عليك يا أبا الشهداء

مع التاريخ والواقع والأمة والرسالة، ومع المعركة التي احتدمت نهار العاشر من محرم، ومع الكوكبة من الشهداء الذين سقطوا بين يديه من أنصاره وأهل بيته عليه السلام.

فمن يمرّ على هذه البقعة المقدسة التي توسدها الإمام الحسين عليه السلام يوم استشهاده، ويوجّه مسامع قلبه وبصيرته إلى أعماقها، فإنه سوف يعي منْ خلال هذا الصمت كل كلمة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام وبياناته ومعالجاته لواقع الأمة في كل زمان، وسيقرأ من خلالها كل أثر من آثاره وأخلاقه النبوية وإنسانيته العلوية.

ويمتد هذا المنبر من ساحة الدم المطهر، ومنْ مصرع السبط الشهيد المنتجب، إلى منبر آخر، هو (الرمح) الذي رفع عليه رأسه الشريف أمام ركب السبايا، وهو يوجه إلى مسامع الأمة نداءه بالذكر الحكيم: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**) (الكهف: ٩)

ليؤكد عليه السلام أنّ الموت لن يغير منه شيئًا، ولن يسكت صوته الهادر عن مسامع الأمة، ولن يموت هذا الصوت باقتطاع رأسه عليه السلام، بل إنه سيبقى يخترق كل الحجب ويتحدّى كل مكيدة من مكائد الطغاة والظلمة بمعجزة القرآن الكريم في كل زمان، ويشق عباب التاريخ ليصل إلى كل جيل على امتداد الحياة.

ثم ينتقل المنبر الحسيني إلى ثقله منْ بعده، وهم سباياه الذين طيف بهم منْ بلد إلى بلد، وذلك على لسان أخته الحوراء زينب عليها السلام وولده زين العابدين الإمام السجاد عليه السلام، وبناته، وكل فرد من ثقله الذي تحرك معه من المدينة إلى كربلاء، ومن بعده تحرّك منْ كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام.

فكان هذا الركب منبرًا يتحدّى أمواج المحن والمصائب ببلاغة الكلمة، ورصانة الحجة، وصواب الفكرة، لإيقاظ ضمير الأمة، واستعادة إرادتها وهيبتها المسلوبة، وإضاءة طريقها بهدي الرسالة، حتى عصرنا هذا الذي أصبح فيه المنبر الحسيني مدرسة متحرّكة في كل بقاع العالم.

والأمر الأهم ألّا تقتصر حركة هذه المدرسة على الموقع الجغرافي هنا وهناك، بل يفترض أن تكون لهذه المدرسة حركة أخرى، هي الحركة في فكر الأمة ووعيها وضميرها، وذلك منْ خلال وعي روّاد هذه الحركة وقادتها، وهم الخطباء المبدعون المتميزون الذين يحملون مشاعل هذه المدرسة التي أوقدها الإمام الحسين عليه السلام بدمه الزكي في وجدان الأمة وضميرها، فأحياها بعد أنْ كادت تندثر تحت ركام الظلم والانحراف الأموي.

فقد فرض الإمام الحسين عليه السلام على رواد هذه المدرسة، أن يراعوا أهداف نهضته الخالدة، ويمدّوا حركتها بصدق الكلمة وموضوعية الفكرة، ويوقدوا بها ضمير الأمة لتتحرك بالنهضة الحسينية وتتحرك بها النهضة على كافة المستويات.

وأن يؤمنوا بأنّ المنبر الحسيني الخالد هو المؤسسة التربوية التي روحها الإمام الحسين عليه السلام وجسمها الأمة التي آمنت به عليه السلام إماماً شهيداً معطاءً، وداعياً وهادياً إلى الله في كل حين.

فما على هؤلاء الرواد إلّا أن يقوموا بالتقريب ـ أكثر ـ بين هذه الرّوح الطاهرة النقية الوثابة المؤمنة بالقيم والمبادئ العليا، وبين هذا الجسم الذي يحتاج إلى دفقات من الحياة والوعي وجرعات من

العلاج المستمر لأوجاعه وضعفه.

فمنْ خلال الخطى التي خطتها النهضة الحسينية الخالدة على خط المواجهة، ومنْ خلال الطابع الذي قامت عليه، وهو المزج بين المضمون التربوي السامي وبين مأساة الطف المؤلمة، فإنّ الذي ينبغي أن يقوم عليه المنبر الحسيني، هو عدة أهداف:

١- التعريف بخط أهل البيت عليهم السلام وبشرعية انتهاجه طريقاً إلى الله عزّ وجل، تنحصر به النجاة ولا بديل عنه في الحياة، لانسجامه مع المقاييس الإسلامية التي يتبناها القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم فكرًا وقولًا وسلوكًا.

٢- تأكيد الولاء على شيعتهم ومحبيهم كثمرة منْ ثمار هذه النهضة، وبيان وجه التلازم بين الولاء وبين الطاعة والانقياد لما يقولون ويعملون عليه السلام، لأنّ ضرورة التلازم بين الولاء وبين الطاعة، تنبع من خلال التلازم بين العاطفة والوعي إذ يتعامل الأول مع ألم المأساة ويتعامل الثاني مع المضمون السامي الذي تحتضنه المأساة التي اكتنفت النهضة الحسينية الخالدة.

٣- بناء القوة والجرأة في نفوس أتباع الإمام الحسين عليه السلام ومحبيه، للتصدي للانحراف والفساد والاضطهاد الذي يمارسه الظلمة والطغاة بحق أتباع أهل البيت عليهم السلام، بنفس الصرخة بالكلمة التي تصاعدت في وجه الطاغية يزيد، وأيقظت ضمير الأمة من رقدته.

٤- بناء القيم العليا والأخلاق المثلى في الأمة، والتي كانت سمة بارزة في حياة وسلوك أهل البيت عليهم السلام، بل حثوا شيعتهم ومحبيهم إلى مكارم الأخلاق وجميل الصفات، فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو يوصي شيعته بقوله: (أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب...)[1].

٥- معالجة القضايا الاجتماعية والمشاكل الأسرية ومحاولة شدّ أواصرها على ضوء التعاليم والحلول التي وردت في منهج أهل البيت عليهم السلام، حيث كانت الأسرة الفريدة من نوعها في التاريخ، هي الأسرة التي تلاحمت أواصرها في عاشوراء وواجهت الموقف بأروع ائتلاف شهدته الأمة في تاريخها.

وقد عبر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك ضمن كلمة التحدي لطاغية عصره بقوله: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني! هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون. وحجور طهرت وجدود طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر)[2].

٦- بيان الرؤية السياسية ومتابعة الأوضاع العامة، وتحليل المواقف

السياسية المحيطة بالأمة، مع دراسة أسباب الانحدار الذي آلت إليه أوضاع الأمة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا ماضيًا وحاضرًا، وعلاج ذلك على ضوء فكر أهل البيت عليهم السلام.

لقد كانت هذه الأهداف في صدارة الدواعي التي أدت إلى الموقف الذي تبناه أعداء الإسلام ضد حركة المنبر والشعائر الحسينية، فنصبوا العداء، وصنعوا السدود، في طريق هذا الصوت، ونصبوا المشانق، لكل من يلهج بذكر الإمام الحسين عليه السلام.

كما حدث ذلك على شكل ردة فعل عنيفة في اليوم الثامن عشر من صفر سنة ١٩٧٧م، ولا يزال يستذكرها شيعة الإمام الحسين عليه السلام ومحبّوه، ويستذكرون تلك الانتفاضة المظفرة التي تفجرت ضد رموز السلطة الظلامية الظالمة، التي سعت جادة بكلّ قواها إلى خنق هذا الصوت الهادر، ومسح هذا الذكر الخالد، والقضاء على هذا الشعور الحسيني المتدفق.

ولكن شاء الله عزّ وجل أن يجعل النصر والخلود لكلمة الإمام الحسين عليه السلام، وأن يخرق صوته كلّ الحجب والحواجز، ليصل إلى سمع كلّ العالم من أقصاه إلى أقصاه، عن طريق الفضائيات وشبكات الإعلام الأخرى.

فأنت حين تطل على تلك الجموع الغفيرة، التي تتعلق عواطفها وأحاسيسها باتجاه كربلاء التضحية والفداء، لمواكبة المشروع بأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، تدرك من خلال ذلك، عمق الحب والولاء الذي لن يموت أبد الدّهر، لأنه قد تجذر في أعماق النفوس والأفئدة التي فطرها الله عزّ وجل على هذه المحبة.

ولكن بقيت أنفاس هذا الحب والولاء مخنوقة تحت القيود القاسية من الظلم والضغط والاضطهاد والتعسف، وقد أطلقت سراحها حرية الرأي والكلمة والتعبير، هذه الحرية التي يفترض أن يكون ثمنها أداءً عمليًا صادقًا، والتزامًا وفيًا بمبادئ وأهداف النهضة الحسينية الخالدة.

لذلك كان حريًّا بالأمة، أن يكون منْ أولويات اهتمامها الالتفاف الواعي حول هذه المدرسة الحسينية المعطاء، التي يتبنّى إدارتها وحركتها خطباء المنبر الحسيني، باتجاهين هما:

اتجاه الربط بين أعضاء هذه المدرسة بوحدة متكاملة في الأسلوب والهدف من ناحية، ومن ناحية أخرى، باتجاه ربط الأمّة بهويّتها الولائية الإسلامية ووضعها أمام مسؤوليتها تجاه هذه الرسالة■

---

١) تحف العقول/ ابن شعبة الحراني/ص٤٨٧.

٢) الاحتجاج/ الشيخ الطبرسي/ ج٢ص٢٥.

الإمام الحسين عليه السلام ولقاؤه الأخير مع ولده الإمام زين العابدين عليه السلام

لمّا ضاق الأمر بالإمام الحسين عليه السلام وقد بقي وحيداً فريداً، التفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم ، ثمّ التفت إلى خيم بني عقيل فوجدها خالية منهم، ثمّ التفت إلى خيم أصحابه فلم ير منهم أحداً، فجعل يكثر من قول : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ .... فجاء إلى خيمة ولده زين العابدين عليه السلام فرآه ملقى على نطع من الأديم، فدخل عليه وعنده زينب تمرّضه، فلمّا نظر إليه عليّ بن الحسين عليه السلام أراد النهوض فلم يتمكّن من شدّة المرض...ثم بدأ يسأل عن عمه العباس وإخوته وأبناء عمومته وعن الأنصار.. فقال عليه السلام:

يا بُنَيَّ! اِعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخِيامِ رَجُلٌ حَيٌّ إِلاّ أَنَا وَأَنْتَ، وَأَمّا هؤُلاءِ الَّذينَ تَسْأَلُ عَنْهُمْ فَكُلُّهُمْ صَرْعى عَلَى وَجْهِ الثَّرى ! فبكى عليّ بن الحسين بكاءً شديداً، ثمّ قال لعمّته زينب: يا عمّتاه ! عليّ بالسيف والعصا. فقال له أبوه: وَما تَصْنَعُ بِهِما؟ فقال: أمّا العصا فأتوكّأ عليها، وأمّا السيف فأذبّ به بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه لا خير في الحياة بعده. فمنعه الحسين من ذلك، وضمّه إلى صدره وقال له: يا وَلَدي! أَنْتَ أَطْيَبُ ذُرِّيَّتي، وَأَفْضَلُ عِتْرَتي، وَأَنْتَ خَليفَتي عَلى هؤُلاءِ الْعِيالِ وَالأَطْفالِ، فَإِنَّهُمْ غُرَباءُ مَخْذُولُونَ، قَدْ شَمَلَتْهُمُ الذِّلَّةُ وَالْيُتْمُ وَشَماتَةُ الأَعْداءِ وَنَوائِبُ الزَّمانِ، سَكِّتْهُمْ إِذا صَرَخُوا، وَآنِسْهُمْ إِذَا اسْتَوْحَشُوا، وَسَلِّ خَواطِرَهُمْ بِلينِ الْكَلامِ، فَإِنَّهُمْ ما بَقِيَ مِنْ رِجالِهِمْ مَنْ يَسْتَأْنِسُونَ بِهِ غَيْرُكَ، وَلا أَحَدٌ عِنْدَهُمْ يَشْكُونَ إِلَيْهِ حُزْنَهُمْ سِواكَ، دَعْهُمْ يَشُمُّوكَ وَتَشُمُّهُمْ، وَيَبْكُوا عَلَيْكَ وتَبْكي عَلَيْهِمْ. ثمّ لزمه بيده عليه السلام وصاح بأعلى صوته: يا زَيْنَبُ ! وَيا أُمَّ كُلْثُوم! وَيا سَكينَةُ! وَيا رُقَيَّةُ! وَيا فاطِمَةُ! اسْمَعْنَ كَلامي وَاعْلَمْنَ أَنَّ ابْني هذا خَليفَتي عَلَيْكُمْ، وَهُوَ إِمامٌ مُفْتَرَضُ الطّاعَةِ. ثمّ قال له: يا وَلَدي! بَلِّغْ شيعَتي عنّي السَّلامَ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ أَبي ماتَ غريباً فانْدُبُوهُ، ومَضى شهيداً فَابْكُوهُ!

(الدمعة الساكبة ٤ : ٣٥١ ، معالي السبطين ٢ : ٢٢ ، ذريعة النجاة : ١٣٩)

فوائد المجالس الحسينية

سكينة الربيعي

ينابيع

من الأمور التي حث عليها أهل البيت عليهم السلام حثّاً شديداً هو إقامة المآتم الحسينية، وإحياء واقعة عاشوراء، والاهتمام بكل تفاصيلها، وذكر كل حيثياتها، فعن الصادق عليه السلام قال وهو يخاطب أحد أصحابه وهو الفضيل بن يسار، قال عليه السلام: (تجلسون وتحدثون ؟ قال: قلت: نعم، جعلت فداك، [قال] قال: تلك المجالس أحبها، - فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)[1].

بل إن هناك روايات تؤكد أن الأئمة عليهم السلام من بعد الحسين عليه السلام أقاموا المآتم وبكوا على الحسين عليه السلام، ودعوا الشعراء إلى إنشاد الشعر في مصيبة الحسين عليه السلام، فقد روي أن الإمام الرضا عليه السلام كان يستقبل الشعراء والمعزين كاستقباله لدعبل يدير المأتم بنفسه، (فعن إبراهيم بن أبي محمود، قال : قال الرضا عليه السلام : إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا . إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام .

ثم قال عليه السلام : كان أبي (صلوات الله عليه)

إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه))[٢].

هذه الروايات وغيرها تؤكد على إحياء شعيرة كربلاء وإعادة مصابها، والبكاء على قتيلها الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا كل هذا الحث والتأكيد من قبل أهل البيت عليهم السلام لإحياء واقعة كربلاء؟

وما هو الهدف من إحيائها، وإعادة ذكراها في كل عام؟

بل ما هو الغرض والفائدة المترتبة على إقامة هذه المآتم أو المجالس؟

يمكن أن نجيب على هذه التساؤلات بعدة نقاط، قد تلخص لنا بعض فوائد المجالس الحسينية منها:

١- إقامة المجالس وإحياء ذكرى عاشوراء هو إحياء للثورة الحسينية وتخليد لقيمها التي من أجلها ثار الحسين عليه السلام وضحى بنفسه وبعياله وبأهله وأصحابه، فالحسين عليه السلام كان طالباً للإصلاح، وثائراً من أجل إحقاق الحق ودحض الباطل، ورفض الظلم، والأمر بالمعروف، ثار من أجل إقامة شريعة الله والحفاظ على القيم التي ترقى بالإنسان وتجعله خليفة لله تعالى في الأرض.

ففي كربلاء تتجسد كل معاني الخير... وتشع الفضيلة... ويشرق العدل... وفي كربلاء يسمو الإنسان.. وترتفع راية الحق، وينهزم الباطل، وفي كربلاء لا تبحث عن قيمة أو فضيلة إلا ورأيت لها تجسيداً حياً... وواقعاً نابضاً بالصدق فيها، نجد التضحية.. الإباء.. الصدق.. الإنسانية.. السمو.. الكرم.. التفاني في سبيل الحق وهكذا.. ولو كتبنا كل قيم النهضة الحسينية لما استطعنا أن نحصيها عدداً، ولكن هذه القيم التي ذكرت هي غيض من فيض وهي قطرة من بحار العشق الحسيني الذي سما، فارتقى بالإنسان إلى أعلى مدارج الكمال.

نعود إلى حديثنا في فائدة المجالس فنقول إن من خلال إقامة المجالس تتجسد كل هذه القيم وفي إحيائها إحياء لروح الإنسان.. ورقي به وبمجتمعه فالمجالس تؤكد هذه القيم وتبرزها وتجعلها أمام أيدي الناس ليستلهموا منها، ويعيشوا روحها، ويدركوا عظمتها.

٢- نشر الإسلام: ومن الفوائد التي نستلهمها من المجالس الحسينية أنه من خلال هذه المجالس يمكن نشر مفاهيم الإسلام وإيصالها إلى عامة المجتمع.

فمجالس الحسين عليه السلام يحضرها كل فئات المجتمع وفيها تطرح الكثير من القضايا والمفاهيم الإسلامية، بل إن بعض الخطباء يطرحون حتى المسائل الفقهية، فالمجالس الحسينية مدرسة عظيمة ينهل من عطائها الجميع، وفيها تزدهر المفاهيم الإسلامية وتطرح للناس بأساليب مختلفة، وهنا يبرز كلام الإمام الرضا عليه السلام ويتجلى معناه فعن أبي الصلت الهروي قال:

(سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبدًا أحيا أمرنا فقلت له : وكيف يحيى أمركم ؟ قال : يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[٣].

٣- إحياء المجالس هو إحياء للنهضة ورفض للظالمين على مر التأريخ، فالإمام الحسين عليه السلام ثار بوجه طاغية عصره، وفرعون زمانه، ليعلم الأجيال أن الرضوخ

للظلم عار، وأن الحق لا بد وأن يرتفع حتى وإن كان ثمنه الدماء الزاكيات، فإقامة المجالس تعد منبراً لرفض الظلم لذلك حث عليه الأئمة عليهم السلام لتتعلم الأجيال من مدرسة الإمام الحسين عليه السلام التي تفتح في كل عام أبوابها لعشاقها بأن رفض الظلم هو أنشودة الأحرار التي يتغنون بها ليصموا آذان الطغاة، ولذلك نجد في التأريخ أن كل الطغاة حاولوا إخماد هذه المجالس فحاربوها وسعوا بكل ما أوتوا من قوة لأجل إطفاء نورها، (وَيَأْبَى اللّه إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة:٣٣).

٤- المجالس الحسينية عبرة وعَبرة، فهي توقد المشاعر وتؤجج العواطف، وتلهب القلوب ففي الوقت الذي يأمر أهل البيت عليهم السلام شيعتهم بأن يبكوا الإمام الحسين عليه السلام ويتعاطفوا مع قضيته يأمروهم بأن يسيروا على نهجه، ويتبعوا خطه من خلال إقامة المجالس التي تحيي ذكره فهم عليهم السلام يوازنون بين العاطفة التي تؤجج المشاعر، وبين العقل الذي يسير في المسار الصحيح، ويسلك الدرب الذي يوصله إلى الأهداف العظيمة، والغايات السامية، فالعاطفة إذا توجهت بالشكل الصحيح سوف تدفع الإنسان إلى سلوك الوجهة الصحيحة في الحياة؛ لذلك نرى حث أهل البيت عليهم السلام على تأجيج العواطف والبكاء على الحسين عليه السلام، فقد ورد عن زيد الشحام، قال: (كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله عليه السلام فقربه وأدناه ثم قال: يا جعفر قال: لبيك! جعلني الله فداك قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد، فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال: قل! فأنشده صلى الله عليه فبكى ومن حوله، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته. ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربين ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها، وغفر الله لك.)[٤].

٥- المجالس محل لتلاقي المؤمنين واجتماعهم وتحابهم وتعاطفهم، وفي هذا الأمر صلاح للمجتمع، وقوة للمذهب وصلاح لأمر الناس، فالملاحظ أنه في هذه المجالس وعندما يلتقي المؤمنون تشيع روح المحبة والإخاء والتعاطف بينهم، فيصبحون كالجسد الواحد، وبالطبع فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة أكدا على مثل هذه التجمعات الإيمانية واللقاءات الأخوية بين أطياف المجتمع لتصير يداً واحدةً وروحاً واحدةً تمثل الإسلام وتحيي شعائره، (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّه فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج: ٣٢).

هذه بعض الفوائد التي نستفيدها من المجالس الحسينية وهناك كثير من الفوائد الأخرى لنزول البركة والتأسي وذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام التي تهون علينا مصائبنا و...الخ من الفوائد الأخرى التي لا يسع المجال لذكرها الآن.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه الفوائد إنما تترتب على المجالس الواعية والهادفة والتي تبرز القضية الحسينية بأبهى صورة وتنشر حقيقة هذه النهضة بشكلها الناصع وأهدافها العظيمة ...■

---

١) مصادقة الإخوان/ الشيخ الصدوق/ ص٣٢.
٢) الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٩١.
٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق/ج١ ص٢٧٥.
٤) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٤ص٢٨٣.

فضل المبيت عند الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء وفضل زيارته فيها:

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، لقي الله يوم القيامة ملطخا بدمه، وكأنما قتل معه في عرصة كربلاء.

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أن هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام أخذ بيد علي فخلا به مليًا من النهار، فغلبتهما العبرة فلم يتفرقا حتى هبط عليهما جبرئيل عليه السلام – أو قال: رسول رب العالمين – فقال لهما: ربكما يقرؤكما السلام ويقول: قد عزمت عليكما لما صبرتما ، قال : فصبرا. (كامل الزيارات/ ص١٢١)

* وقال شيخنا المفيد في كتاب التواريخ الشرعية، وروي أن من زاره عليه السلام وبات عنده في ليلة عاشوراء حتى يصبح، حشره الله تعالى ملطخًا بدم الحسين عليه السلام في جملة الشهداء معه عليه السلام.

* عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نعى جبرئيل عليه السلام الحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة، فدخل عليه الحسين عليه السلام وجبرئيل عنده ، فقال: إن هذا تقتله أمتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرني من التربة التي يسفك فيها دمه، فتناول جبرئيل عليه السلام قبضة من تلك التربة، فإذا هي تربة حمراء... فلم تزل عند أم سلمة حتى ماتت رحمها الله.

(كامل الزيارات/ ص١٢٩)

* عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : كان الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة : يا رسول الله ما أشد اعجابك بهذا الصبي، فقال لها : ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي، قالت : يا رسول الله حجة من حججك؟، قال : نعم حجتين من حججي ، قالت : يا رسول الله حجتين من حججك، قال : نعم وأربعة، قال : فلم تزل تزيده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها

(كامل الزيارات/ ص١٤٤)

خلود الإمام الحسين عليه السلام في ذاكرة الشعراء
وقفة عند نماذج مختلفة من خطابهم الشعري

أ.م.د. مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية القرنة / جامعة البصرة

ينابيع

كانت صور الفداء التي بذلها الإمام الحسين عليه السلام لإقامة الحياة الكريمة في الإسلام مذهلة ومدهشة، إذ تركت أثراً عميقاً للحزن في القلوب الواهة وأثرت في نفوس أقل الناس إحساساً، وكان يوم الطف مسرحاً للقيم الكريمة التي تميزت بالوفاء والإخلاص ونكران الذات، هكذا استهلم الشعراء تلك المعاني السامية والمضامين العالية على مرّ العصور والسنين متخذين من معركة الطف وبطلها الإمام الحسين الشهيد عليه السلام رمزاً للفداء والبطولة والتضحية والخلود، وفي ضوء ذلك نشير إلى تلك الوسيلة الإعلامية التي حفظت أبعاد أهداف النهضة الحسينية، وسجلت لنا قدسية الموقف والعطاء المتجدد في كل لحظة وفي كل زمان وعلى مر الدهور في قصائد الشعراء، كما ذكر السيد حيدر الحلي ذلك قائلاً:

عثرَ الدهرُ ويرجو أنْ يُقالا
تربَت كفُّكَ من راج محالا
أيّ عُذرٍ لك في عاصفةٍ
نسفتَ مَنْ لك قد كانوا الجبالا

بطرادٍ تلْطُم الطف به
للأُولى منكمْ قضوا فيه قتالا
وطعان يُمطر السُمْر دماً
فوقها حيثُ دمُ الأشرافِ سالا
سَلْ بِحجرِ الحرب ماذا وضعت
فَتديُّ الحرب قد كُنَ نصالا

فالتاريخ تسجله الأقلام الشريفة لتعطي أبعاد تلك الملحمة التي قامت لغرض الإصلاح والتغيير، فهي ملحمة عظيمة بأبعادها الإنسانية والإصلاحية ووقفة بوجه الطغاة المستبدين، وفي ذلك نتأمل الشاعر المرحوم محمد حسن الطلقاني قائلاً:

سائل التاريخ عن ملحمة
علّمت من ينشدون الكبرياءا
وليوثٌ للوغى قد وثبوا
وببذل الروح كانوا كرماءا
رَخصتْ أنفسهم إذ أنهم
لم يطيقوا للطواغيت انحناءا
ثأروا لكنهم لم يملكوا
غير إيمان يدكُّ الحقراءا
فئة مؤمنةٌ قد سجّلت
للهدى نصراً وللحق علاءا
وثقت من خطوها لما مشت
تحسب الموت حياة وبقاءا

في حين يستلهم الشاعر الشيخ علي الصغير معاني الذكرى في ضوء تلك القدسية التي يرتفع بها الأدب وهي تضم ملامح العشق المحمدي وعترته بأبهى الأنوار قائلاً:

قدّستُ ذكراك أن يسمو بها الادبُ
عفواً فما لي إلى نيل السما سببُ
فرحتُ استوهبُ الذكرى، أشعّتها
فأشرقت في سمائي هذه الشهبُ
كأنَّ أفق خيالي وهي مشرقةٌ
بحرٌ على لجة الأنوار تضطربُ
ترسو عليه سفين الحب ماثلةً
أمام ميناء قدس أفقهُ طَرِبُ
ميناؤها المصطفى الهاديَ وعترتُه
سفينةٌ للهدى طوبى لمن ركبوا

فالنصر لا يتأتى إلا بوجود التضحية التي تصنع المجد نحو العلى يتسابقون على وجه الثرى كالأقمار الساطعة، فلك يا أبا الاحرار الخلود عبر الدهور متوجاً بالنصر المؤزر فهنيئا لك الشهادة المطلقة، وهكذا نتأمل الشاعر عبد الأمير جمال الدين، قائلاً:

الدهر عبدك والخلود حواري
فاهنأ بنصرك يا أبا الأحرار
وإذا الحسين وصحبه من حوله
عزم يصم مصارع الأعصار
سبعون بدرًا ما رأيت نضيرهم
إلاّ ببدر من أسود الغار
خرّوا على وجه الثرى فكأنما
شاهدت فيهم مصرع الأقمار

لكنّ الشاعر عبد الحسن زلزلة يتغنى على فمه أنشودة الأحرار هاتفة وهو يحاكي الدماء في تكلمها ناطقة وهو يقول:

هذي دماك على فمي تتكلمُ
ماذا يقول الشعرُ إن نطق الدمُ
هتفتْ وللأصفاد في اليد رنّة
والسوطُ في ظهر الضعيف يُحَكّم

لتعود دعوة الشاعر عبد نور داوود مناصرة لاستقبال الإمام الحسيني الموعود صاحب العصر والزمان لينهض بالهمم العالية من جديد فقد حان الحصاد وطلب الثأر من جديد:

أو أنت؟!! حاشا يا حسينك تخذل
هم يا عراق ، دعوهُ ثم تكربلوا
أقبلْ إلينا يا بن بنت نبينا
وإذا السيوف هي التي تستقبلُ

أقبلْ إلينا حان وقت حصادنا
وإذا همو بيد الدراهم منـجلُ

وهو يستذكر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ليشكل رمزًا في أبعاد التضحية من أعماقها وشمولها على الرغم من معرفته ذلك المصرع، وهو يقول (وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء...)، فالشاعر يوظف الخطب العظيم والمفجع ويقارنه بألم ودم العراق الذي لا يزال يبلل ذلك القميص في رمزية وتعالق مع قميص يوسف الملطخ الدم وهو يقول :

قتلوا الحسين... فحزهم بدمائه
وبقيت في دمه ودمعه تُقْتَلُ
ورموا القميص مبللاً بدمائه
وإذا به بدم العـراق مبلل

لكن الشاعر صادق القاموسي يخاطب الإمام الحسين عليه السلام عبر خطاب المآسي الأليمة مذكرًا على روعة العزم والتصميم والتضحية فالخطاب مباشر عبر تلك الأمواج المنسابة لتسجل مأساة الإمام الحسين عليه السلام الخالدة فهي مأساة أبي الأحرار من شدة الهول والبلاء لا نظير لها، فلا يوم كيومك ياأبا الضحايا، قائلًا:

أبا الضحايا يا رسولًا حوى
شتى الرسالات فوفى الأداء
ما هالني أنك خضت الوغى
للدين تفديه بأسمى فداء
وإنما عانيته من بلاء
ضاق به الصبر وضج القضاء
يامالكا بالدم عرش الإباء
وظامنا بالموت طول البقـاء

يقول الشاعر حيدر الحلي:

إنْ لم أقفْ حيث جيش الموت يزدحم
فلا مَشَتْ بي في طرقِ العُلا قدمُ
لأحلبنَ ثديّ الحربِ وهي قنا
لبانُها من صدورِ الشوس وهو دم
جفّت عزائم فهر أم تُرى تردت
منها الحميّة أم قد ماتت الشيم

يقول الشيخ الفرطوسي في وصف مصرع الإمام عليه السلام:

فأتـى الشمْرُ لا رعى الله شـمرًا
شـاهرًا سـيفَهُ بـغير اتّقاءِ
وهـو أقـسى مـن الحـجارة قلبًا
حـين يسطو مـن شـدة الكبـرياء
فـارتقى صـدرهُ وحـزَّ ضـلالاً
منحرَيه بغلظةٍ وجفاءِ
يا لـهول المـصاب هـذا حسـينٌ
وهـو شـلوٌ مُقـطَّع الأعـضاءِ

لكن ذكرى الطف ويوم عاشوراء يبقى ملتهبًا في كف الخلود مهما انطفأت السنون وغربت وهذا ما نجده في قول الشاعر السيد مصطفى جمال الدين:

ذكراك، تنطفئ السنين وتغربُ
ولـها عـلى كـفِّ الخـلود تَلهُّبُ
لا الظلمُ يلوي من طِماحِ ضرامها
أبدًا ولا حقدُ الضمائر يحجبُ
ذكرى البطولة ليلُها كنهارها
ضاح تؤجّ به الدماء وتلْهَبُ
ذكرى العَقيدة لم يَنُؤْ متنٌ لها
بالحادثاتِ، ولم يخنْها منكبُ

في حين يدعو الشاعر مدين الموسوي سالكي منهج الإمام الحسين عليه السلام للقيام بالثورة والرفض لكل ظلم، قائلًا:

يا سالكًا دربَ الحسين
تخاف خطوتكَ الدروبُ
وتلوذ منها كالظلام
إذا هدى برقٌ رهيبُ
حشدوا لك العقبات
ظنًا منكَ يُغريكَ الهروبُ

خسأوا لقد فتحوا لك الدنيا
فعدتَ بها تجوبُ!!

وتبقى صورة الموت بفعل مساحة الدم المراق في رمال كربلاء شاهداً حياً في تأملات الشاعر جواد جميل، قائلاً:

يا كبَر الدماءْ
يا لَونَ إعصارٍ يخطّ الجرحَ
في رمال كربلاءْ
إغضبْ فهذا موسمُ الطواف بالمآزر الحمراء

إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام وليدة كل عصر ولا يقتصر أثرها على عصر واحد، فكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، ولهذا السبب يستنهض الشاعر مصطفى الغماري الناس، فالاستذكار لم يستجد ولكنها حقيقة ذلك المصرع المتجدد وصراع الحق مع الباطل في كل القرون، كما في قوله:

تعالوا..
فما زال دمعُ القرونْ
وما زال غدرُ القرونْ
وسيفُ (علي)
وزيفُ «أميّهْ»
وما زال في الدرب وردُ «الحسينْ»
وشوكٌ تعهّده «ابنُ سميّهْ»!!

ويبقى الانتماء فراتياً وتظل البطاقة كربائية فالولادة الحقيقية على ضفة النهر، هكذا يقول الشاعر فرات الأسدي في قصيدة عنوانها (بطاقة شخصيّة) ليرسم ملامح العشق الحسيني من جغرافية النهر وعمق النهر بطينه ونخيله ليسجل انتماءه الحسيني الخالد، كما في قوله:

على ضفّة العطشِ (الكربلائيِّ)،
يومًا وُلِدْتُ،
وتحت لَهاتيَ طينُ الفراتْ
وبينَ جفونيْ العصافيرُ نائمةً،
والنخيلُ تهدهدها،
والصبايا تصوغُ لها الأغنياتْ.
وُلدتُ،
وكفّيَ مقبوضةٌ لستُ أفتحُها..
ولحظةَ فكّوا أناملها
وجدوا : الحزنَ والجُرحَ،
ـ خبّأتُ ـ
والشعرَ والكلماتْ..
فقبّلني والدي في جبيني،
وكبّر في أُذنيَّ ، وقالَ لأميَ:
هذا وليدُ الشتاتْ!

وهكذا يكون نشيد الدم والتضحية من خلال ذلك الدم الأحمر الصادح على فم الرضيع وهو يذوب عطشًا وعلى قيود الحديد على المتن المثخنة بالجراح هكذا يصور الشاعر جواد جميل ذلك السبي بأبعاده التعسفية ومظلوميته، قائلًا:

وأخبرني بأنّ الطف مازالت تُرضّ
على ثراه الأضلعُ الحمرا
وما زالت ملطّخةً هناك الأذرعُ البتْرا
ومازال الرضيعُ ، يذوب من عطشٍ
فتمسح وجهَه (الحورا)
ومازال الحديدُ يئنّ، يُثقلُ مشيةَ الأسرى
وأخبرني بأن نَظما
وأخبرني بأن نَعرى
ولكنْ لم يقل: إنّ الجراحَ تُباعُ أو تُشرى!!

لقد خطط الإمام الحسين عليه السلام فصول مأساته وفصول تضحيته على أسس عميقة فوظفها الشعراء في خطابهم الشعري بوصفه خير وسيلة ثقافية مستمرة لكل الأجيال ولتبقى خالدة بخلود صاحب الذكرى والألم والجرح والدم والخلود سيد الشهداء أبي الأحرار الحسين الشهيد عليه السلام.

عبد الله الرضيع: الطفولة المستباحة
قراءة في مسرحية (الجائزة)

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة /كلية الآداب

ينابيع

علاقة المسرح بالشعر والتاريخ

يعدُّ فن المسرح من أكثر الفنون قدرةً على تحقيق الصلة التفاعلية مع المتلقي، إذ اتاحت للمسرحية طبيعتُها البنائية إمكانيةَ تعددٍ تشكلاتها، نصاً مقروءاً وعرضاً، ومنحها انفتاحُها الكبير على اضافات المتلقي وقراءاته، ديمومةً في الحضور والتأثير. ولا شك في أن للنص المسرحي المكتوب نصيباً من هذه الخصوصية، فهو نص كُتِبَ لينفتح على قراءتين، من الممكن أنْ تتحقق الأولى بصورة تلقيه مكتوباً، وهنا يلعب التخييل والتصور لدى القارئ دوراً فاعلاً في التلقي والتذوق، ويتحول في القراءة الثانية إلى هيئة أخرى عند عرضه على خشبة المسرح، إذ تتضافر ذواتٌ أخرى في صناعته وتجسيده، مفيدة مما يتضمنه النص من إمكانيات لذلك، فالمسرحية تعدُّ كما يرى آلاردس نيكول (فن التعبير عن الأفكار الخاصة بالحياة، في صورة تجعل هذا التعبير ممكنَ الإيضاح بواسطة ممثلين)[1].

يُكتب النصُ المسرحي نثراً أو شعراً، وعلاقته بالشعر أقدم من النثر، فهو في أصوله الأولى بدأ شعراً في المسرح الإغريقي القديم، ومع ظهور النص المسرحي النثري استجابةً لتحولات الأنواع الأدبية المرتبطة بمتطلبات الواقع وتطوراته، صار القارئ أمام نمطين من النص المسرحي، ولكن الدراما الشعرية حافظت على خصوصيتها الفارقة ففي (الفن المسرحي من المواقف الدرامية المركزة ما لا يستطاع التعبير عنه إلا بالشعر)[٢]، والأمر ذاته يمكن أن نلحظه في علاقة المسرح بالتاريخ، فهناك ما يوجه الكاتب نحو استثمار ما في التاريخ من أحداث ووقائع وتوظيفها في الكتابة المسرحية، ولا يخفى وجود النصوص الكثيرة في الأدب المسرحي العربي والعالمي التي تعنى بهذا الجانب، حتى مثل ذلك اتجاهاً خاصاً في المسرح. ففي الأدب العربي نلاحظ نزوع المسرح ومعه الدراما الشعرية إلى توظيف واقعة الطف التاريخية الهامة أو بعض وجوهها، ففيها من جوانب الإمكان ما يشجع الكُتّاب على الإفادة منه، وهو ما عرفه الأدب المسرحي العربي في عديد من نماذجه، فقد سعى كُتاب مختلفون في انتماءاتهم لتيارات فنية، إلى تطوير آلية التوظيف والابتعاد عن التقليدية في التناول، بشكل يوسع من حدود فهم الواقعة وأبعادها ودروسها، عبر الانتقال من مجرد التوظيف إلى الاستنطاق الفني الذي يفتح نوافذ الرؤية على الحاضر متجاوزاً الحدود التاريخية لمرجعية الواقعة. ولعل من أبرز هذه النماذج الإبداعية في الدراما الشعرية العراقية مسرحية (الجائزة)[٣] للشاعر الراحل محمد علي الخفاجي.

مسرحية الجائزة: الثيمة

تنتمي مسرحية (الجائزة) إلى ما عُرف مؤخراً في المسرح العراقي بـ (المسرح الحسيني) الذي يفيدُ من توظيف واقعة الطف وما جرى فيها على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأولاده وأصحابه.، بطريقة حافظ فيها الشاعر على خصوصية الحدث ومكانه وزمانه، وفي الوقت ذاته حقق معالجةَ همّ كبير من هموم الواقع ومشاكله في الوقتِ الراهن.

تتشكلُ ثيمةُ المسرحية وحدثُها المحوري الرئيس في مكانين هما: طف كربلاء، والكوفة في عام ٦١هـ، والبطل فيه يدعى (الجوراني) شخصية متخيلة، مستوحاة من تاريخ الواقعة، وهو أحد جنود العسكر الذي قاتل الإمام الحسين عليه السلام ولكنه تخلّف عنه إذ بقي نائماً ولم يفق إلا والمعركة قد انتهت والجيش يستعد لمغادرة كربلاء حاملاً الرؤوس على الرماح ومستبشراً بالعطاء الذي وعد به والي الكوفة عبيد الله بن زياد. يشعر الجوراني بخسران وخيبة وخوف، إذ لم يصب رأساً ينال به العطاء، ولا يمتلك عذراً ينجيه من عقوبة التخلف عن الجيش وعدم المشاركة في المعركة، ويحتدم الصراع النفسي في دواخله، حتى تومض في رأسه فكرة البحث عن رأس لم يلتفت الجند لقطعه، ويتذكر رضيعَ الحسين (عبد الله) ذا الستة أشهر، لينطلق باحثاً عن المكان الذي دفنه والدُه فيه، وبعد أن يجده يحز الرأس، ويأخذه ليصل الكوفة متأخراً، فالجند قد غادروا القصر بعد أن تسلّموا هدايا ابن زياد. وبعد أن يمضي ليلته منتظراً، يدخل على ابن زياد في الصباح ليعنفه الأخير على فعلته،

ويستقبح جرأته على قتل رضيع، ولا ينفعه العدول عن ادعائه، والاعتراف بأن من قتل الرضيع هو حرملة الأسدي، فيأمر ابن زياد بقطع رأسه، لتنتهي المسرحية باستيقاظ عبيد الله بن زياد من حالته الأولى وندمه على قتل الجوراني .

تختصر المسرحية صورة واقع يكون فيه الوالي مصاباً بمرض نفسي وازدواجية في الشخصية، فهو منقسم بين شخصيتين يعيشهما الأولى يكون فيها ظالماً يبطش بالرعية وأداة بيد الخليفة لبسط نفوذه وسلطته، متعطشاً للدماء، وفي الثانية يكون وديعاً حيَّ الضمير. ويقتسم معه الحضور في هذا الواقع جيشٌ (هو في حقيقته متشكل من عوام المجتمع/ الرعية) يسعى بكل طريقة إلى نيل الهبات والعطايا وكسب المال حتى لو وطأ دينه وإنسانيته بنعليه. وتمتلك هذه الصورة إمكانية الوجود والحضور في كل زمان ومكان تتهيأ فيه الظروف والأسباب، وهذا ما تريد المسرحية أن تقوله من خلال هذا الحدث المتخيل، فهي تعبر به حدود الواقعة التاريخية، وما رسمته من ملامح فارقة مظلمة لوحشية الإنسان في التاريخ، لترى من خلاله واقعاً تعيشه البلدان الإسلامية اليوم، تصوغه مباني فكرية فاسدة قوامها التكفير لإباحة الدم والمال والعرض، فبنية الحدث المسرحي العميقة هنا تقول ذلك، و(تكشف شفرة النص عن بنية استعارية تتخذ من ذهنية التكفير بؤرة لها، فالمقدس السياسي سيصبح ونتيجة للدعاية والترويض بالترغيب والترهيب مقدساً ايديولوجياً مهيمناً على ذهنية التكفير، لا فرق في القداسة سواء كانت ممثلة بوالي الكوفة أو بمشايخ التكفير في واقعنا المعيش)[٤]. وقد لجأ الكاتب إلى تقنيات عدة اعتمدها في تشكيل دلالات النص، سنقف عند بعضها في هذه القراءة السريعة.

النص الموازي

يشترك في بناء متن النص الإبداعي نصوص موازية له، تسمى في النقد الأدبي الحديث (عتبات نصية)، تقوم برفد دلالات النص وإكمالها أو إثرائها على وفق ما يرتئيه الكاتب ويتطلبه البناء الفني، منها في النص المسرحي(العنوان، والإهداء، ومقدمة المسرحية، والإرشادات التي يضعها الكاتب للنص، وتقسيم النص إلى فصول أو مشاهد أو لوحات، ووصف الشخوص وهيئاتهم ونبرات أصواتهم... وغيرها)، وهي من الأهمية بمكان في قراءة النصوص، إذ تكشف عن رؤية الكاتب ووعيه الفني فضلاً عن صلتها الوثيقة بمتن النص ودلالاته.

يشير عنوان المسرحية (الجائزة) إلى محورية الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، فالجائزة لا تكون إلا مقابل فعل، وتتضمن إغراءً، وترقباً شيّقاً، يحفز القارئ ويثير فضوله في السعي لمعرفة ماهية الاثنين: الفعل وجائزته. من جانب آخر تكون علاقة العنوان بالنص علاقة إحالية، فالعنوان بحاجة إلى المتن لتتحقق دلالته، وانكشاف مغزاه، وهو ما يعني بالنتيجة نجاحَ العنوان في جذب المتلقي إلى قراءة النص واكتشافه.

وتتنوع الألفاظ المماثلة للعنوان دلالياً في متن المسرحية، فتارة يذكرها الكاتب مستعملاً لفظة (الثواب)، في قول الجوراني (بطل المسرحية الرئيس):

(لكن هذا الموكب
يمشي لأمير الكوفة
وكل يحمل رأساً
كرةً من ذهب
سوف يثاب عليها) ص:١٨

ومرة يستعمل لفظة (الثمن) على لسان البطل أيضاً محاولاً التقليل من شأن الرأس ليتنازل حامله عنه ويبيعه له، حتى لا يخسر هو جائزة الوالي (ص٢٠)، غير أن لفظة العنوان (الجائزة) تهيمن على غيرها في الحضور، وهو ما يحقق للكاتب رغبته في جعل دلالة الجائزة والسعي إلى الحصول عليها في الأزمنة الرخيصة موجهاً كبيراً يحدد أفعال النفوس الضعيفة ويصوغ مواقفها.

من العتبات النصية الهامة في المسرحية (الإرشادات أو التعيينات) التي يضعها الكاتب عادة بين هلالين وبخط مميز، ليضيء به حدثاً ما أو حركة معينة، ويمهد لها. ومن وظائف الإرشادات بوصفها عتبة نصية؛ التمهيد لتحويل النص المسرحي إلى عرض مُجسَّد على خشبة المسرح، إذ يشارك كاتبُ النص من خلالها أقطاب العمل الآخرين من مخرج وممثل وسينوغراف وغيرهم في عملية التحويل هذه، فضلاً عن أن لهذه الارشادات وظيفةً أخرى تتمثل في مساعدة القارئ على استقبال النص المسرحي بطريقة متحركة، عبر تخيل شكل العرض، وتصوّر الحدث وسياقه، وكل ما يتعلق بتشكّله[٥].

مثال ذلك ما كتبه الشاعر واصفاً احتدام الصراع النفسي في دواخل الجوراني وهو يتخيل دخوله على ابن زياد بلا رأس أو عذر مقبول:

(وفيما هو هائج مستمر يرتطم بحاجز على المسرح فيسقط على الأرض. قرع الطبول يعود إلى رأسه حيث يستفيق وهو ماسك بين يديه رأساً وهميةً ليعلن فرحته بجنون) ص: ٢٥.

ويحقق هذا الأمر هدفاً مزدوجاً له خصوصيته في النص مكتوباً ومعروضاً، ولا شك في أن لكل قارئ خصوصيته وطريقته في تفعيل هذه الإرشادات والإفادة منها في ضوء قابليته على الفهم وقدرته في التخيل والتصور، وثقافته المسرحية، ومستوى تذوقه العمل المسرحي. وهو ما ينسحب على أقطاب العمل الآخرين بوصفهم قراءً للنص في الدرجة الأولى، ومشاركين في إعادة انتاجه؛ فللمخرج رؤيتُه وطريقته في قراءة هذه الإرشادات والإضافة إليها، وله مساحة حضور ليست بالضيقة في التصرف بها على وفق رؤيته الإخراجية، وكذا الأمر مع الممثل والسينوغراف وغيرهما من المشاركين في تجسيد العمل على خشبة المسرح. وهكذا (فإن لنص التعيينات كذلك أهميته الجمالية والدلالية في الوقت نفسه، من حيث كونه مفتاح التأسيس السينوغرافي مادام يحمل إشارات الأمكنة وخصوصياتها، وأسماء الشخوص، وما دام يؤسس سياق التواصل)[٦]. وبالنتيجة سيكون المتلقي أمام عمل اشتركت في تشكيله وصناعته رؤى أشخاص عديدين، لكل منهم خصوصيته ودوره الهام. والكاتب يذكر ذلك صراحة في إحدى إرشاداته: (..ابن زياد وجهه متبرم وإلى جانبه يقف السياف يلعب المكياج دوره هنا..) ص:٦٩

الحوار

يعد الحوار من أهم عناصر بناء النص المسرحي، إذ يسهم في تصعيد

الحدث، وتعقّد الصراع، وتتعاضد صورتاه (المونولوج الداخلي، والخارجي) في دفع التوتر الدرامي وتنميته، ونجد أن الكاتب كان حريصاً على أن يكون الحوار مركزاً ومكثفاً قدر الإمكان، مفيداً من خصوصية اللغة الشعرية في تحقيق ذلك، من جانب آخر حافظ الكاتب على أن يكون الحوار متنامياً بطريقة مسترسلة، ليس فيها قطع أو تباطؤ، وهو ما ينسجم مع طبيعة الحدث والمواقف النفسية للشخوص. ولعل من أبرز ملامح الحوار في المسرحية هنا هو الحفاظ على المسافة ما بين الكاتب والشخصية، فلم يسقط الكاتب صوته ورؤيته على الشخوص، فتحدثت بما ينسجم مع طبيعتها وموقفها الذي حدده النص في ضوء إطارها الواقعي ومرجعيتها التاريخية.

من أمثلة ذلك نقرأ جزءًا من الحوار الذي يدور بين قائد جيش ابن زياد القادم من كربلاء بعد انتهاء الحرب، وبين الحرسي الذي يهم بسد باب الحصن المحيط بالكوفة وقت الغروب:

(القائد: دعنا ندخل للتو
الحرسي: أبداً
القائد: لن نتباطأ
الحرسي: كلا
القائد: أدخل وحدي فأنا القائد
الحرسي: لا أحد يدخل إبان أذان المغرب) ص: ٥٥

وفي ذلك كله لم يقيد الكاتب خصائص الحوار وطبيعته بطريقة تضيق على الأداء المسرحي في العرض حريته أو تحدد طاقاته، فترك للمخرج والممثل مساحات لإظهار ذلك وتجسيده، وهو ما لا يحققه كل نص مسرحي لصعوبته ودقته. وتصبح الصعوبة مضاعفةً في المسرح الشعري؛ إذ لابد من حرص الكاتب على تحقيق التوازن في لغة النص عامة، والحوار خاصة بين أن تكون موجزةً بعيدة عن الترهل وفي الوقت ذاته واضحة، غير معقدة ولا غامضة. ولا بد للشعر الموظف في لغة المسرحية أيضاً من أن يرفدها ببعد آخر يفوق ما يضيفه النثر في المسرحية النثرية، لكي يكون اختياره مبرَّراً ومقنعاً على المستوى الفني والدلالي، فعليه أن يمنح المسرحية قوة درامية، مبتعداً عن الوقوع في منزلق الغنائية، وحضور الذات التي لا تخلو منها القصيدة، فضلاً عن ضرورة الابتعاد عن اللغة الخطابية التي تسقط الشعر في مستوى تبليغي مباشر، ويبعده عن خصوصيته وعمقه[٧].

ترى هل نجحت (الجائزة) في الوصول إلى ضفاف واقعة الطف وهي تستثمر تقنيات المسرح برؤية خاصة، ومميزة؟

ليس من شك في أن هذا النص قد استطاع تقديم نموذج بشري متكامل للشخصية الضعيفة التي تجتمع في دواخلها مختلف الرذائل، وليس من خط أحمر أمام شهواتها وحبها للدنيا، فكل شيء ممكنٌ للحصول على متاع قليل ولذة زائلة، ولو كان ذلك قطع رأس رضيع ميت، وتقديمه هدية لطاغية ظالم. و(الجوراني) في الجائزة، نراه في كل زمان وفي أي مكان يشحذ سكينه متأهباً لمطمَع مرتقب، ليؤكد في الإنسانية أزمتها المزمنة، التي ما إن تختفي حتى تظهر بلبوس جديد؛ أزمة فقدان الثبات على القيم والفضيلة.

أخيراً .. تُثبت مسرحية (الجائزة) لقارئها على المستوى الجمالي أنَّ الدراما مقروءةً لا تقل قدرة على الإقناع بفكرتها

وانفتاحها على إمكانات القارئ في تخيل الحدث وتجسيده في فضاء درامي متسع، من غير أن تكتفي بذلك أو أن تنغلق أمام إمكانية قراءتها معروضةً على خشبة المسرح، وهو نجاحٌ نادرٌ بلا شك»

١) نقلاً عن: فن كتابة المسرحية: عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سوريا، ١٩٩٦: ٥٧.
٢) المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة: محمد زكي العشماوي: ١٦٣.
٣) الجائزة، مسرحية شعرية من فصل واحد: محمد علي الخفاجي.
٤) تراجيديا الرؤوس المهداة، قراءة في مسرحية الجائزة: عالية خليل ابراهيم، مجلة الأقلام، ع ٦، ٢٠٠٨: ١٥٥ .
٥) ينظر: المعجم المسرحي: ماري إلياس وحنان قصاب حسن: ٢٣ .
٦) قراءة المسرح: أوبير سفيلد، نقلا عن: حول الخطاب المسرحي، خصوصية الخطاب خصوصية القراءة: عبد المجيد شكير، مجلة البيان، ع ٣٥٧، ٢٠٠٠: ٨.
٧) ينظر: العمل المسرحي في ضوء الدراسات النقدية: عبد اللطيف محمد السيد الحديدي: ١١٦.

الفاجعة بالطفل الرضيع

(ولّما فجع الإمام الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده، ولم يبق غيره وغير النساء والأطفال وغير ولده المريض، نادى: هَلْ مِنْ ذابّ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ الله؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّد يَخافُ اللهَ فينا؟ هَلْ مِنْ مُغيث يَرْجُو اللهَ في إغاثَتِنا، هَلْ مِنْ مُعين يَرْجُوَ ما عِنْدَ الله في إعانَتِنا؟ وارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم عليه السلام إلى باب الخيمة، فقال: ناوِلُوني عَلِيّاً الطِّفْلَ حَتّى أُوَدِّعَهُ. فناولوه الصبيّ، فجعل يقبّله ويقول: وَيْلٌ لِهؤلاءِ الْقَومِ إذا كانَ خَصْمُهُمْ جَدَّكَ، وبينا الصبيّ في حجره، إذ رماه حرملة بن الكاهل الأسدي فذبحه في حجر الإمام الحسين عليه السلام، فتلقّى الحسين دمه حتّى امتلأت كفّه ، ثمّ رمى به نحو السماء)[1] وقال : (هَوَّنَ ما نَزَلَ بي أَنَّهُ بِعَيْنِ الله تَعالى، أَللّهُمَّ لا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصيل ! إلهي إنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ فَاجْعَلهُ لِما هَوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَانْتَقِمْ لَنا مِنَ الظّالِمِينَ، وَاجْعَلْ ما حَلَّ بِنا فِي العاجِلِ ذَخيرَةً لَنا فِي الأجِلِ، أَللّهُمَّ أَنْتَ الشّاهِدُ عَلى قَوْم قَتَلُوا أَشْبَهَ النّاسِ بِرَسُولِكَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله)[2].

(١) مقتل الحسين/ الخوارزمي/ ص٣٥٥.
(٢) مقتل الحسين/ المقرم/ ص٣٤٣.

النهضة الحسينية أسبابها ودواعيها وأساليب توهينها من قبل المخالفين

الشيخ حيدر الشكري
باحث وخطيب

ينابيع

إن خطابات الإمام الحسين عليه السلام الإنشائية والبيانية مذ كان في مكة وإلى يوم عاشوراء تعدّ رافداً حياً لمسيرة الإصلاح في كلّ زمان ومكان، وهي ركن من أركان نهضته التي قام بها ضد النظام الأموي الفاسد، فكلماته عليه السلام التي اتسمت بالبلاغة والمنطق والفلسفة أضحت تراثاً فكرياً عميقاً ينتهل منه رواد الفكر الإسلامي.

إن الفكر الأصيل الذي طرحه الإمام الحسين عليه السلام بمنطقه الرائع في خطاباته المتعددة قابله منطق القوة عند أعدائه الذين ملئت بطونهم من الحرام وصمّت آذانهم عند سماع نداء الحق وعميت قلوبهم وآلوا الركون إلى حطام هذه الدنيا الفانية ونعيمها الزائل.

قال الإمام الحسين عليه السلام: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين)[1].

لقد امتزجت كلمات الإمام الحسين عليه السلام بدمائه الزاكية لترسم لنا صورة حية ناطقة باقية ما دام الليل والنهار، صورة تنطق في آذان الدهر بصوت خالد، صوت يلبّي حاجة الإنسانية المستديمة على مرّ العصور كون الظلم والطغيان من الأمراض المزمنة الموجودة في كل زمان فلا يمكن أن يمرّ يوم في هذه الدنيا بلا حسين وبلا صوت للحسين عليه السلام.

أسباب ودواعي النهضة الحسينية:

إن أشدّ ما ابتليت به الأمة الإسلامية هو خطر المنافقين في داخل الكيان الإسلامي والذين وصلوا إلى سدة الحكم ليعيثوا في الأرض فساداً ويحكموا باسم الإسلام وهم يضربون الإسلام في الصميم. لقد تستروا برداء الدين لطمس ومحو أصل هذا الدين الحنيف والرجوع إلى الجاهلية والقبلية الأولى قبل الإسلام.

ولعلّ خير شاهد على هذا هو يزيد بن معاوية الذي تمثل بأبيات شاعر جاهلي مشرك وهو عبد الله بن الزبعرى، وذلك عندما كان ينكث ثنايا الإمام الحسين عليه السلام بمخصرته:

لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

فهل هناك أعظم من هذا التحلّل وهذا الشكّ برسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولا غرابة في وجود هذا المنطق عند بني أمية وأتباعهم الذين ما عرفوا الإسلام يوماً ولم يسلموا، بل استسلموا بعد انتصار الإسلام وبعدما قويت شكوته، وذلك حقناً لدمائهم.

ومن هذا المنطلق نفهم رفض الإمام الحسين عليه السلام لبيعة يزيد عندما عرضت عليه فقال: (إن مثلي لا يبايع مثله) وهذا يعني:

أولاً: أن من هو مثلي في مقامي الرفيع كابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وأحد الذين نزلت بحقهم آية التطهير وآية المباهلة وغيرها، لا يمكن أن يبايع مثل يزيد في ضعته وانحطاطه، يزيد المنحرف سلوكياً، يزيد الذي قال عنه الإمام الحسين عليه السلام: (وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد)[٢].

ثانياً: إن مثلي كإمام معصوم يقتدى به

وفي موقف المسؤولية الدينية والوظيفة الشرعية من المحال أن يبايع فاسقاً ظالماً مثل يزيد، أو يقرّ بسلطته الظالمة والفاسدة، بل يستلزم الوقوف ومواجهة الظلم والطغيان والمنكر.

لذا فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام أسباب ودواعي نهضته في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية حيث قال عليه السلام: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً)، والأشر هو المستكبر عن الحق، كما في قوله تعالى: (**سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ**) (القمر: ٢٦)، والبطر من أبطرته النعمة فأطغته، والمعنى إني لم أخرج مستكبراً أو معانداً عن الحق ولا طاغياً ولا مفسداً ولا ظالماً. وهذا يعني إنه لم يخرج باحثاً عنه ذاته أو عن حياة البطر.

وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أي أن منهجي وهدفي من خروجي هو الإصلاح وإقامة العدل والوقوف بوجه المنكر الأم المتمثل بالسلطة الأموية الحاكمة التي أكثرت الفساد والإفساد ونشرت البدع وجعلت مال الله دولاً وعباده خولاً.

والجدير ذكره أن الإمام الحسين عليه السلام عندما أعلن عزمه على الخروج لغرض الإصلاح، لم يعيّن نوعاً معيناً من الإصلاح، لأن الفساد الذي استشرى في الأمة هو فساد شامل من قبيل الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري.

(أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب).

إن هذه العبارة تشير إلى الجانب

الاجتماعي في نهضته، هذا الجانب الذي يتمثل بالالتزام بمنهج التصدي للمنكر وشجب الانحراف وعدم الركون إلى العافية وإلى السلامة. وذلك إن عدم ردع المنكر والفساد سيؤدي إلى انتشاره في جسم الأمة، وكما قال أحد الشعراء:

آمن الكفر بأسنا فتمادى
وسكتنا عن الفساد فسادا

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذا الجانب في خطاب آخر له بعد قتل رسوله وسفيره إلى أهل الكوفة مسلم بن عقيل رضي الله عنه، وذلك عندما التقى عليه السلام بجيش الحر في البيضة فقال: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيروا عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله... ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّو حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيّر، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم ولكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته)[٣].

لقد وضع الإمام الحسين عليه السلام في خطابه هذا النقاط على الحروف، مبيناً ما يقتضيه الواجب الديني والمسؤولية الشرعية من عدم الإقرار للسلطان الجائر وضرورة مناهضته والجهاد ضده. وبهذا يعلن الإمام الحسين عليه السلام موقفه الحاسم بالتصدي للمنكر والانحراف وهو عليه السلام الأولى بهذا الموقف الجهادي الذي يستلزم التضحية بكل غال ونفيس من أجل تغيير الأوضاع الفاسدة آنذاك والتي تنذر بالخطر على الإسلام.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أهم مرتكزات النهضة الحسينية، بل إن كل أسباب ودواعي النهضة تلتقي عنده. بصفته من أعظم الواجبات الدينية، حيث قال تعالى: (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (آل عمران:١٠٤).

(وقد ورد عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام إنه بالأمر بالمعروف تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب، وتمنع المظالم وتعمر الأرض، وينتصف للمظلوم من الظالم، ولا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[٤].

في المقابل نجد أن هناك من يروج لفكر مضاد لهذا الفكر الذي أقرّه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. كما في قوله تعالى: (**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ**) (هود:١١٣)، وقوله جل وعلا: (**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**) (التوبة:١٢)، وفي السنة النبوية ما ورد في بداية خطبة الإمام الحسين عليه السلام في البيضة وقد مرّ ذكرها.

إن الفكر المضاد لمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدعو إلى الركون إلى الظلمة وعدم الخروج عليهم وشجب انحرافهم وظلمهم حتى ولو سحقوا الإسلام تحت أقدامهم. رغم إن خطرهم أعظم من خطر الكافر الصريح كونهم يتسترون بالدين لضرب الدين، يبطنون كفرهم ويظهرون الإسلام وهو النفاق بعينه. وخير شاهد على ذلك هو يزيد بن معاوية الذي يتمثل بأبيات الشاعر الجاهلي عبد الله بن الزبعرى نافياً الرسالة المحمدية كما مر بنا سابقاً.

لذا نقول: إذا أجاز القرآن الكريم الخروج على الحاكم الجائر لكفر بواح، فمن باب أولى الخروج على الحاكم الذي يتلبس بلبوس الإسلام ويغطي تصرفاته بغطاء ذي مسحة شرعية أمام الأمة، لأن فتنته أعظم وأخطر.

ومن هنا يتبين لنا أن خروج الإمام الحسين عليه السلام هو امتثال لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

كذلك فإن من دواعي نهضته عليه السلام هو إقامة الإمامة الإلهية التي تدعو إلى نشر العدالة الاجتماعية والحريات والدفاع عن المظلومين والمضطهدين وإحلال السلام في الأمة. ويمكن القول إن نهضته عليه السلام هي تجسيد للإمامة الإلهية العظمى، وهذا واضح في كلمته عليه السلام عندما قال: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة

جدي وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي) وهذه العبارات تعني إحياء حقهم عليهم السلام في الإمامة وولاية أمر المسلمين وإبطال شرعية من غصب الخلافة منهم.

أساليب توهين النهضة الحسينية:

رغم كل ما ذكرناه من أسباب ودواعي نهضة الإمام الحسين عليه السلام لكننا ومنذ زمن بعيد نجد أن هناك من يروج لتذويب وتوهين هذه النهضة المباركة بجملة من الأساليب منها:

أولاً: قالوا إن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج على إمام زمانه وأرادوا به يزيد بن معاوية. كيف يمكن أن يكون هذا الفاسق الفاجر إماماً للأمة وبأي ملاك؟ أبنصٍّ أم بشورى؟ وهما المعياران المعتمدان عند المسلمين في قضية إمامة الأمة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

فإذا جئنا إلى النص فنقول: هل جاء نصّ بإمامة يزيد؟ نحن نتحدى كل علماء المسلمين أن يأتوا بنص في هذا المعنى أو نصّ فيه مدح ليزيد. بل العكس من ذلك فقد وردت تصريحات عن النبي صلى الله عليه وآله في ذم يزيد منها:

(يزيد لا بارك الله في يزيد)[٥]. (لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد)[٦]. (يزيد لا بارك الله في يزيد الطعّان اللعّان)[٧]. (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له: يزيد)[٨]. ولكننا نقول إن من بدّل سنة النبي صلى الله عليه وآله هو من سبق يزيد بن معاوية وهو الذي مكنه من الوصول إلى سدة الحكم كما ذكرت السيدة زينب عليها السلام في خطبتها في الشام، حيث قالت: (وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين) وهي عليها السلام تشير إلى المقدمات الفاسدة في تنحية أمير المؤمنين عليه السلام عن مقامه الشرعي في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، مما أدى هذا الأمر إلى هذه النتائج الفاسدة في وصول بني أمية إلى سدة الحكم. وبهذا يتبين أن لا نص قد جاء بحق يزيد يبرر وصوله للحكم.

وأما الشورى فلم يكن هناك وجود لها. فقد تمت بيعة يزيد بصورة غير شرعية عن طريق المال والقهر، كما روى المسلمون ذلك في كتبهم، حيث أن معاوية أراد أن يجعل الحكم وراثة في عقبه فأخذ يدبّر لذلك كما ذكر ابن عبد ربه: (ولم يزل يروض الناس لبيعته أي بيعة يزيد سبع سنين. يشاور ويعطي الأقارب ويداني الأباعد)[٩]. وكان شأنه في ذلك في تشييد الملك لنفسه في بادئ أمره. ففي كلتا الحالتين كان يغري بالإمرة والمال، وإن أعيته الحيلة لم يتورع عن أي شيء حتى القتل والاغتيال، ومن المؤرخين الذين ذكروا كيف تمت بيعة يزيد بالقهر والأموال الطبري وابن الأثير وآخرون.

فأي ملاك للشورى جاء به يزيد إلى السلطة؟! فإذا كانت هناك عدم صلاحية ومشروعية ليزيد في الحكم، فأي بغي في خروج الإمام الحسين عليه السلام عليه؟ والمتفق عليه عند المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) وفي لفظ آخر: (الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما)[١٠] يقول العلامة المجلسي في بحار الأنوار أنه من المشهور وذكر

أن أهل القبلة اجتمعوا عليه[١١]. فقد ذكره أحمد في مسنده[١٢] والترمذي في سننه[١٣] والمتقي الهندي في كنز العمال[١٤] والبغدادي في تاريخ بغداد [١٥]. وفي مصادرنا فليراجع علل الشرائع[١٦] ومناقب ابن شهر آشوب فالإرشاد للمفيد وكفاية الأثر وغيرها من مصادر الخاصة والعامة، بحيث أن الحديث متواتر عند الفريقين، ولا يشترط كتاب الله عز وجل أنهم عليهم السلام أولو الأمر، كما في قوله عز وجل: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) (النساء:٥٩). فإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون الإمام الحسين عليه السلام باغياً وخارجاً على إمام زمانه؟!

ثانياً: قالوا إن الإمام الحسين عليه السلام بخروجه أثار الفتنة وشق عصا المسلمين. ونحن نقول: ليس كل تقسيم للساحة هو باطل، لأن أي دعوة إصلاح أو رسالة حق لابد وأن تقسم الناس فريقين: فريق مع الحق وآخر مع الباطل، فالأنبياء أرسلهم الله تعالى إلى الناس وهم أمة على الكفر فدعوهم إلى توحيد الله سبحانه فانقسموا ما بين مؤمن وكافر، فليس مطلق التقسيم يقال عنه إثارة فتنة وشق عصا. نعم إذا جاء من يفرق الأمة وهي جميع وبلا مبرر فهذا التقسيم يعد باطلاً، وإلا فمثل الإمام الحسين عليه السلام كان خروجه شرعياً ولم يخالف فيه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وكانت له عليه السلام أهداف ودوافع لخروجه وعلى رأسها طلب الإصلاح في أمة جده محمد صلى الله عليه وآله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه الفريضة التي كادت تموت بين المسلمين وأحياها الإمام الحسين عليه السلام.

ثالثاً: حاول البعض التشويش على النهضة الحسينية من خلال الترويج بأن يوم عاشوراء هو يوم فرح وسرور وبركة ينبغي الاحتفال به وصيامه، فهو اليوم الذي أنجى الله تعالى فيه نبيه موسى عليه السلام وأغرق فرعون، وهو اليوم الذي تاب الله تعالى فيه على آدم عليه السلام وفيه استوت سفينة نوح على الجودي فصام نوح وموسى شكراً لله، وكذلك فهو اليوم الذي أنجى الله فيه نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت. وذكروا إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمر بصيام يوم عاشوراء تأسياً بموسى عليه السلام واليهود لما لصيامه من فضل عظيم، كما ذكر أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والبخاري والألباني الذي صحح حديث صيامه يوم عاشوراء في صحيح الترغيب والترهيب[١٧] إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله. وكل هذا أرادوا منه تطويق وتمييع نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة.

رابعاً: محاربة الشعائر الحسينية بمختلف الأساليب ونعتها بعدم المشروعية من قبيل إقامة المآتم والحزن والبكاء على مصاب سيد الشهداء عليه السلام. وهنا نقول هل في هذه الشعائر غير ذكر الله عز وجل؟ وهل إن الحزن والبكاء ليست لهما مشروعية في الإسلام، وقد حدثنا القرآن الكريم عن نبي الله يعقوب عليه السلام الذي احدودب ظهره من شدة الحزن وفقد بصره من البكاء على ولده يوسف عليه السلام حيث قال تعالى: (**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**) (يوسف: ٨٤).

ثم ألم يبك نبينا محمد صلى الله عليه وآله عند فقده لولده إبراهيم، حيث قال صلى الله عليه وآله: (... إن العين تدمع والقلب يحزن

ولا نقول إلّا ما يرضي ربنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)[١٨]. وكذلك بكاؤه ﷺ على عمه حمزة عند استشهاده يوم أحد. حيث روى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة بسنده عن جابر بن عبد الله قال: (لما رأى النبي ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مثّل به شهق)[١٩]. وذكر بكاء النبي ﷺ على حمزة كل من الطبري في تأريخه وابن الأثير وعلي بن برهان الدين في السيرة الحلبية.

إن الشعائر الحسينية هي التي حفظت أصالة النهضة وحفظت حرارتها وهذا ما يرهب الظلمة والطغاة على مر العصور، لأن صوت الشعائر هو صوت الحسين عليه السلام الذي يقض مضاجع الظالمين ويهدد عروشهم■

---

١) بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤/ ٣٢٩.
٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/ ١٨٥.
٣) الكامل في التاريخ: ٢٨٠/٣، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/ ٣٣٥.
٤) من كتاب منهاج الصالحين للسيد الخوئي: ٣٥٠/١.
٥) المعجم الكبير للطبراني: ١٢٠/٣.
٦) كنز العمال للمتقي الهندي: ١٦٨/١١ ح٣١٠٧٠.
٧) المصدر السابق نفسه: ١٢٨/١٢ ح٣٤٣٢٤.
٨) صححه الألباني وقال إنه حديث حسن عن طريق أبي ذر في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٣٢٩ ح١٧٤٩ ولكنه اقتطع (يقال له يزيد) رغم صحتها.
٩) العقد الفريد في تاريخ الخلفاء: ١٢٩/٣.
١٠) دعائم الإسلام للقاضي النعماني الغربي: ٢٨/١ باب ذكر إيجاب الصلاة على محمد وآل محمد.
١١) بحار الأنوار للمجلسي: ٤٣/ ٢٧٨.
١٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣/٣ و٦٢.
١٣) سنن الترمذي: ٥/ ٦١٤ ح٦٨ ٣٧.
١٤) كنز العمال للمتقي الهندي: ١١٢/١٢ م٢٤٦ ٣٤.
١٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١١/ ٩٠.
١٦) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ٢٤٨/١ باب ١٥٩.
١٧) صحيح الترغيب: ١/ ٤٢٢.
١٨) رواه البخاري في كتاب الجنائز: ٤٣٩ ح١٢٤١.
١٩) الاستيعاب لابن عبد البر: ٣٢٥/١.

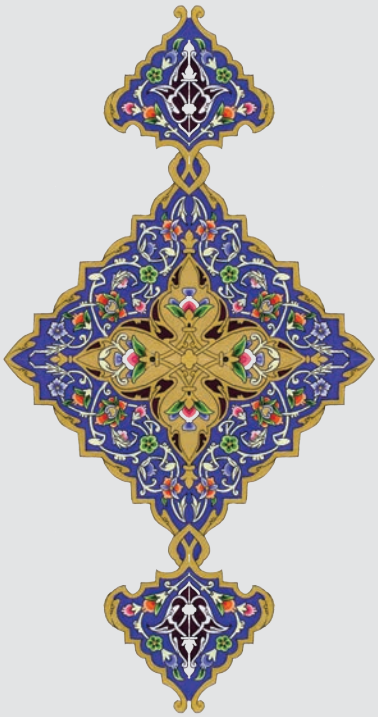

زيارة الأربعين بين الماضي والحاضر

بقلم: المحامي أحمد المالكي

ينابيع

جرت العادة في الحداد على الميت أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أقيم على قبره حفل لتأبينه.

فكيف نفهم هذا المعنى عندما يتجلى في موضوع كالإمام الحسين عليه السلام الذي بكته ملائكة السماء وسكان الأرض وما فيهما أربعين صباحاً. على ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحًا بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتثرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحًا على الحسين عليه السلام)[1].

ومنذ ذلك اليوم، وهو العشرين من صفر أصبح هذا التاريخ مشهودًا، تتوافد الملايين من الزائرين على كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وإقامة المآتم عنده وتجديد هذه الذكرى المؤلمة.

إن إقامة المآتم عند قبره الشريف في الأربعين من كل سنة، يعني إحياء وتخليد نهضته المباركة، ولتلك المزايا التي لا تُحد، والفضائل التي لا تُعد، وتعريفًا بالجريمة التي ارتكبها الأمويون وأتباعهم. ولهذا دأب الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعين من كل سنة.

يذكر التاريخ أن أول مأتم أقيم بعد واقعة الطف مباشرةً تكوّن من النسوة والفتيات والعلويات وهن زوجات وأخوات وبنات الإمام الحسين عليه السلام والهاشميين والأصحاب الذين استشهدوا معه[2]، وقد عُقد ذلك المأتم في العراء فوق ساحة المعركة عصر اليوم العاشر من المحرم، حيث كانت القلوب مثقلة

بالأشجان والصدور ملأى باللوعة والأحزان، تعالت فيها صرخات نساء بني هاشم في كل ركن من أركان الطف حيث قتل السبط الشهيد، الإمام الحسين عليه السلام.

وبعد خروج السبايا من كربلاء ووصولهم الكوفة، أقام الإمام زين العابدين عليه السلام مأتمًا في الكوفة، أبكى فيه العيون وأوجل القلوب[٣].

كما أقيمت مآتم أخرى على امتداد الطريق، عندما سيقت النساء أسارى إلى الشام، وحينما أدخلت السبايا دمشق أخذ الناس ينظرون مدهوشين، ولا يعرفون من هؤلاء السبايا فأخذوا يتساءلون، فبادرتهم سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله[٤]، من أجل فضح الإعلام المضلل الذي كان يصفهم بـ(الخوارج). وكانت النساء يندبن قتلاهن وينشرن مظلومية أهل البيت عليهم السلام والمبادئ التي قتل من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

وانتقلت المآتم الحسينية إلى المدينة المنورة، فتصارخت النساء في المدينة حتى سمع في المدينة رجّةً ما سُمع مثلها قط. (فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة إلّا برزت وهن بين باكية ونائحة ولاطمة فلم ير يوم أمر على أهل المدينة منه)[٥].

وكان الموالون والمحبون يأتون جماعات وفرادى ويحضرون المآتم ويقدمون تعازيهم ومواساتهم لأهل بيت النبوة.

وقد أكد الإمام العسكري عليه السلام حقيقة جديرة بالاهتمام، بقوله:(علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والتختم باليمين، وتعفير الجبين)[٦]، يرشدنا بذلك إلى تلك الممارسة المألوفة بين أتباع أهل البيت عليهم السلام حيث تأبين سيد الشهداء عليه السلام وعقد الاحتفالات لذكره في هذا اليوم إنما

يكون ممن يمتّ له بالولاء والمشايعة، ولا ريب في أن الذين يمتون له بالمشايعة هم المؤمنون حقًا المعترفون بإمامته، لأن من علامات المؤمن زيارة الأربعين.

فكان على المؤمنين إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ليبقى كشريان نابض في حياة الأمة الإسلامية، يحفظ لها حيويتها بما يمثله من صور ناصعة للإسلام وأصالة لم تشبها شائبة.

إن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام رمز لتقديس الإسلام وتقديس المبادئ والقيم التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

فإن من يزور سيد الشهداء يعظمه لكونه حامي الشريعة، ومن جهة ثانية فهو يعظم دين الله والمبادئ والقيم الربانية التي جاء بها نبي الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه وآله، لذا يقال: إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

نعم، هكذا يستلهم زوار سيد الشهداء عليه السلام منه الدروس العظيمة في: التضحية، والوفاء، والإباء، والمحافظة على الشرف والعرض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة، والدعاء، وقراءة القرآن، والذوبان في حب الله سبحانه، فكل شيء يرخص في جنب الله، وما جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

لذلك استمرت المآتم ومجالس العزاء بالانعقاد، وتعاظم صداها على طول البلاد وعرضها لتُعبّر عن حالة الهيجان الشعبي، ورغم كل الصِعاب واصلت مسيرتها على مَرّ الأيام والسنين بقوة أحياناً وضعف أحياناً أخرى حسب ما كانت تسمح به الظروف.

وهناك بعض الموالين لأهل البيت عليهم السلام الساكنين في المدن البعيدة عن كربلاء في شمال العراق وجنوبه، أو خارج العراق في البلدان الإسلامية وغيرها، الذين لا يستطيعون المجيء إلى كربلاء لأي ظرف كان كغيرهم من أبناء بلدانهم، فإنهم يحيون زيارة الأربعين ويشاركون إخوانهم الذين قصدوا كربلاء، بالمسير من بيوتهم متوجهين نحو مزار لمرقد أحد الصالحين من ذرية أهل البيت عليهم السلام، أو مرقد أحد العلماء أو مسجد كبير في مدينتهم، ويتجمعون هناك ليقيموا شعائر زيارة الأربعين ويستذكروا فاجعة الطف الأليمة، ويؤدوا مراسيم زيارة الإمام الحسين عليه السلام عن بُعد، ويدعون الله أن يوفقهم لزيارته عليه السلام في كربلاء.

وتدريجياً، أصبحت كربلاء مزاراً يؤمه ملايين المسلمين من كثير من البلدان العربية والإسلامية إضافة إلى العراق، بالرغم من محاولات المنع والتقييد والاضطهاد التي قام بها الطواغيت على مر العصور، وما يقوم به الإرهابيون في هذا العصر.

وأصبح الزوار يتزايدون سنة بعد أخرى، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد الزوار يوم الأربعين سنة ١٩٦٨م بلغ أكثر من نصف مليون زائر، وارتفع عددهم في بداية السبعينات إلى حوالي مليون زائر، مما أرعب السلطة الحاكمة، فشنت حملة وحشية ضد الزوار وحاولت منعهم بشتى السبل.

وفي عام ٢٠٠٣م والسنين التي أعقبتها وصلت أعداد الزائرين (في زيارة الأربعين) لأكثر من عشرين مليون زائر، جاء أغلبهم من مدن العراق المختلفة.

لقد خرج الملايين من الموالين لأهل

البيت عليهم السلام من مدن العراق المختلفة في صور مذهلة محيرة للعقول، صور مثيرة للدهشة والاستغراب، صور لم تتكرر في أي شعب من شعوب الأرض، صور تقشعر لها الأبدان وتحبس لها الأنفاس وتدمع لها العيون، فقد خرج الرجال والنساء والأطفال، الفتيان والفتيات، الشباب والشيوخ والعجائز والمعاقون، ومن كل طبقات المجتمع، حاملين الرايات ومتشحين بالسواد وهم يطلقون الشعارات الحسينية خلال مشيهم.

خرج العامل والفلاح والموظف والطالب والمدرس والأستاذ الجامعي والطبيب والمهندس والسياسي وطلاب الحوزة العلمية والعلماء، بل حتى بعض المراجع الأجلاء شارك في هذه المسيرة المليونية، تاركين بيوتهم وأعمالهم وقاطعين مئات الأميال مشيًا على الأقدام ليالي وأيامًا قاصدين كربلاء الشهادة والفداء. وكذلك شارك المؤمنون من الدول الإسلامية وخاصة من إيران والهند وباكستان واليمن والبحرين والكويت والحجاز ولبنان وسوريا والمغرب والجزائر وتركيا وأذربيجان وكازاخستان وغيرها، وجاء بعض الزائرين من دول إفريقية كالسودان ونيجيريا وكينيا وجزر القمر وغيرها، بل جاء بعضهم من بلدان غير إسلامية كتايلاند وأميركا وبريطانيا والدنمارك والسويد، حتى بلغ تعداد الزوار من خارج العراق أكثر من نصف مليون زائر لأكثر من خمسين دولة، عدا زوار الجمهورية الإسلامية الإيرانية الذين وصل عددهم إلى خمسة ملايين زائر[٧]، ليختلطوا بالموالين العراقيين في مسيرة الولاء المليونية متحملين في سبيل هذه الشعيرة شتى صنوف العناء والتعب وملاقين في طريقهم الحر والبرد والرياح والأمطار والجوع والعطش أو التشنجات والآلام والجروح والقروح في أرجلهم من مشي المسافات الطويلة ولأيام.

هذا فضلًا عن تحدي ما يواجههم في الطريق من الحاقدين التكفيريين الذين يفجرون المفخخات لقتلهم بهدف منعهم من ممارسة شعائرهم وسيرهم لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

إن هذا الزحف الهائل لموجات البشر المتعاقبة، كأنه نهر يجري في الشوارع الفرعية والرئيسية من داخل المدن وخارجها وقد اتجهت بوصلتها نحو كربلاء، بل الطرقات كلها بدت زاحفة وهي متوجة بألوان من رايات نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولسان حالهم يقول:

إنّا قصدنا كربلا وشعارُنا
حُبُّ الحسينِ الظافرِ المقدامِ
حقًا له نمشي علَى هاماتِنا
ومن الوفا نمشي على الأقدام

والأسئلة التي تراود من لا يعرفونَ الشيعة، ماذا يأكل هؤلاء؟ وكم يأكلون؟ وأين يستريحون؟ وأين ينامون؟ ومن يسعف مرضاهم؟ وعدد العاملين في تقديم الخدمات لهم؟ وما هو حجم المشاكل التي ستحدث جراء احتكاك هذه الملايين؟

أسئلة كثيرة محيرة لا يعرف إجابتها إلّا الشيعة! خصوصًا إذا علمنا أن أي حكومة أو دولة ستكون عاجزة عن توفير كل ما يلزم هؤلاء المشاة من احتياجات أو تقديم الخدمات لهم.

فقد تطوع الآلاف من أصحاب المواكب الحسينية، إما ببناء الحسينيات

أو بنصب الخيام والسرادقات على امتداد الطرق وتقديم كل الخدمات المجانية اللازمة لزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فإنك لا تجد خلال أيام زيارة الأربعين، والتي تستمر لمدة أسبوعين تقريبًا موكباً حسينياً إلّا ويسعى العاملون فيه إلى تقديم أفضل الخدمات للزائرين.

فمن خدمات الإطعام والمبيت والخدمات الصحية، إلى بعض الخدمات الجديدة التي استحدثت، كتأمين الاتصالات الهاتفية المجانية للزوار لداخل العراق وخارجه، وتوفير غسالات الملابس الكهربائية، وأجهزة العلاج الكهربائية (التدليك)، ونصب ورش لتصليح عربات المعاقين والأطفال، وكذلك إقامة الحمامات بالماء الحار والبارد والصابون، وتقديم الملابس لمن يحتاجها من الزوار، والقائمة تطول لتصل إلى تقديم الحفاظات للأطفال.

وكذلك نصبت المفارز الطبية لتقديم الأدوية والإسعافات الأولية لمن يحتاج من الزوار.

وتسمع من العاملين في المواكب كلمات الترحيب بالزوار وباللهجة العراقية: (هله بيهم زوّار أبو علي)، (هله بزوار أبو السجاد)، بهذه العبارة وغيرها من العبارات الأخرى يصدح القائمون على المواكب الحسينية وهم يستقبلون الزوار في أثناء سيرهم ليقدموا لهم واجبات الضيافة التي يصر الغالبية من أصحاب تلك المواكب على تقديمها للزائر حتى وإن كان لا يحتاجها.

هذا بالنسبة للخدمات، أما بالنسبة للمواد الغذائية والأفرشة وغيرها، فجميع ما يبذل على طول الطرق المؤدية إلى كربلاء إنما هو تبرع عن طيب نفس، بل بامتنان كبير من قبل المؤمنين لهذه المواكب.

إذ يتبرع كل شخص بحسب رغبته وقدرته، يقدمون لتلك المواكب مختلف المواد التي يحتاجونها لتقديم خدماتهم للزوار، فقسم يساهم بالمال والمواد العينية، وقسم آخر بتقديم الخدمات.

أما ما يقدم من الطعام للزوار، فقد يجد الزائر في هذه المواكب التي تعد أماكن عامة ما لا يجده إلّا في الأماكن الخاصة، إما لغلائه وإما لندرته، فتقدم أنواع الفواكه والعصائر والكيك والحلويات، أو الأكلات غير الضرورية.

أما سكان القرى الواقعة على امتداد الطريق وأصحاب المضايف فيحرصون على مبيت الزوار عندهم وتقديم ما عندهم من طعام وخدمات.

حتى أن أهالي هذه المناطق، كانوا يتشاحنون مع بعضهم للحصول على عدد من الزوار من أجل إيوائهم وخدمتهم ويتنافسون إلى درجة تخال أن هذا التنافس سوف يتحول إلى معركة.

إنه التنافس الشريف على من يحوز شرف الضيافة، حين ترى توافد أعداد كبيرة من النساء والأطفال وهم يتعلقون بأطراف ملابس الزوار، بل أنهم يتوسلون بهم ويتعلقون بأرجلهم .. ليس استعطافًا للجود عليهم .. بل توسلًا يمكّنهم من الظفر بجزء من هذه المجموعة المتوجهة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والفوز بشرف استضافتهم وخدمتهم.

وبدلًا من أن يشكرهم الزائر على حسن ضيافتهم، هم من يبادرون بشكر الزوار لاستجابتهم لدعوتهم الكريمة

والسماح لهم بخدمتهم. وترى في كثير من المواكب بيتاً من الشعر الشعبي العراقي صار شعارًا مرفوعًا لهم:

(كِلّ الخَدَمْ تنْهانْ شِفناها بالعينْ
بَسْ ابْكَرامَة تعيش خِدّام الحسينْ)

أما حينما تدخل مدينة كربلاء المتشحة بالسواد وقد انتشرت الرايات السود على غالبية المنازل والعمارات والدوائر الحكومية وقد غصت هذه المدينة بهذه الملايين الزاحفة من البشر، والشيء الملفت للنظر أنك لا ترى أو تسمع أي مشكلة من أي نوع بين هؤلاء الملايين رغم الاحتكاك الشديد بينهم وفي أرض محدودة المساحة، التي ضاقت بهم، ولكن وَسِعَهم حبُ الحسين عليه السلام والتفاني في خدمته، وهذه إحدى بركات هذه الزيارة العظيمة.

وفي كربلاء ترى كل ما رأيت في الطريق من خدمات بل ترى أكثر من ذلك، فترى مثلاً مجموعة من الزوار وهم جالسين بين الحرمين ينظفون أحذية الزائرين، وقسم منهم يخيطون تلك الأحذية التي تضررت جراء المشي الطويل. ترى أيضًا مجموعة من الأطباء والممرضين جاء بعضهم من الدول الأوروبية لتقديم الخدمات الطبية للزوار.

وخلال مكوث المواكب في كربلاء، والتي يصل عددها إلى ألفي موكب أحيانًا، يتوزعون بين مقرات المواكب والحسينيات والمساجد، كما تضطر بعض المواكب الوافدة إلى كربلاء إلى أن تَنصُبُ خيامًا خارج المدينة، أو في أطرافها، لتنظيم أمورها، بتقديم المأكل والمشرب والأفرشة للراحة والنوم لأفرادها وضيوفها من الزائرين.

وعند إقامة مواكب العزاء في كربلاء،

يتبادل أفراد المواكب الزيارات فيما بينهم للتعارف وتقديم الخدمات لبعضهم البعض والاستماع للخطب والقصائد التي تقام بهذه المناسبة والتي تعبر عن اعتزازهم بتضحيات الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من أجل الإسلام، وحبهم وتفانيهم في خدمة الزائرين.

وبعد أن تكتمل أعداد الزوار الوافدين إلى كربلاء، وفي يوم العشرين من صفر (يوم الأربعين) تبدأ فعاليات الشعائر الحسينية، ومن أروع تلك الفعاليات هي مسيرة المواكب الحسينية، حيث أن كل بلد أو مدينة أو عشيرة تشكل موكبًا حسينيًا يضم العديد من المشاركين، وبتنظيم معين تأتي لتقدم العزاء والمواساة لأهل البيت عليهم السلام بمصابهم، حيث يتقدم الموكب لوحة إعلانية كبيرة تبين اسم الموكب والدولة أو المدينة التي ينتمي الموكب إليها، إضافة إلى عدد من الأعلام وفرق الطبول والبوق وهي تعزف أنغامًا حزينة ومثيرة ..

تسير المواكب الراجلة وهي تجوب مدينة كربلاء، وتدخل الصحن الشريف للإمام الحسين عليه السلام لتقدم التعازي والمواساة، وذلك بإلقاء المراثي وباللطم على الصدور والرؤوس. بعدها تتجه إلى الصحن الشريف لأبي الفضل العباس عليه السلام لتقدم له التعازي، وسط النحيب والبكاء على مصائب آل محمد صلى الله عليه وآله.

وهناك مواكب ملفتة للنظر كموكب أهالي البحرين، الذي يقدر عدد المشاركين فيه بالآلاف، لا بالمئات، وبمشاركة مجموعة من علماء البحرين ومنشديهم. وكذلك مواكب من مدن العراق المختلفة وقد امتازت بالتنظيم والتنسيق، لتجسد أحداث الأربعين وعودة ركب السبايا إلى قبر الحسين عليه السلام وشهداء الطف بمشاهد تمثيلية متقنة استخدمت فيها الجمال والخيول، وكانت المشاهد مؤثرة جدًا، أعادت للحاضرين والمستمعين رزايا الطف وما جرى فيه، فلم يتحكم أحد بعيونه، ولم يسيطر على دموعه، ويضج الناس بالعويل والبكاء.

وكذلك موكب الأجانب من دول العالم المختلفة وقد سموه (موكب أتباع أهل البيت عليهم السلام من دول العالم)، ورغم اختلاف لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم وقومياتهم، فقد وحدهم حب الإمام الحسين عليه السلام في موكب واحد.

وفي مساء ذلك اليوم تنتهي فعاليات المواكب ويختتم المشاركون شعائرهم ويودعون الإمام الحسين عليه السلام وأخاه أبا الفضل عليه السلام بزيارتهما، معاهدين الإمام الحسين عليه السلام على السير على نهجه، وموالاة أوليائه والبراءة من أعدائه، وإقامة هذه المراسم في الأعوام المقبلة■

---

١) كامل الزيارات/ص١٦٧.
٢) ينظر: بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٥ص٥٨.
٣) الفتوح/ابن أعثم الكوفي/ج٥ص١٣٣.
٤) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٥ص١٥٥.
٥) مثير الأحزان/ابن نما الحلي/ص٩٠.
٦) مصباح المتهجد/الشيخ الطوسي/ص٧٨٨.
٧) هذه الإحصاءات من وكالات الأنباء المختلفة.

في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

* يستحبّ إنشاد الشعر في رثاء الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، وبكاء المنشد والسامع.

وأنشد رجل للإمام الصادق عليه السلام في الإمام الحسين عليه السلام فبكى ومن حوله، فقال: لقد أوجب لك الجنّة.

* وقال عليه السلام: ما من أحد قال في الحسين شعرًا فبكى وأبكى إلّا وجبت له الجنّة.

* وقال عليه السلام: من أنشد في الحسين شعرًا فأبكى واحدًا، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فتباكى، فله الجنّة.

* قال الصادق عليه السلام: من قال فينا بيت شعر، بنى الله له بيتًا في الجنّة.

* وقال عليه السلام: ما قال فينا قائل بيت شعر حتّى يؤيّد بروح القدس.

(هداية الأمة/ الحر العاملي/ ج٥ ص٥٠٤)

قال الشيخ محمد علي الأعسم (ت١٢٣٣هـ):

ذِكر الطفوف ويوم عاشـــوراء منعا جفوني لذّة الإغفاء
لم أنسه لما سرى من يثـــــرب بعصابة من رهطه النجباء
حتى أتوا أرض الطفوف بنينوى أرض الكروب وأرض كلّ بلاء

(اعيان الشيعة/ ج٩ ص٤٤١)

* أورد صاحب (أعيان الشيعة) أبياتاً لعلي بن عبد الحميد النيلي (كان حيًا في ٧٩١هـ) في رثاء الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، أوّلها:

إذا ما سطا شاهدتَ هاماً مفلَّقاً وأيدٍ من الضّربِ الدِّراك تطيرُ
يخطَّ بخطيّ القَنا في ظـهورهم خطوطاً لها وقع السيوف سطور

إلى أن يقول:

عليكم سلام اللهِ ما لاح بـــارقٌ وما غرّدتْ فوق الغصونِ طيورُ

وله:

لا تنكري إن أَلِفتُ الهمَّ والأَرقا ... وبتُّ من بعدهم حِلْفَ الأسى قلقا
ليت الركائب لازُمّت لبينِـهِمُ ... وليت ناعق يوم البَيْن لا نعقا
يا منزلًا لعبتْ أيدي الشتات به ... لِعبَ النحول بجسمي إذ به علقا

(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج٨ص١٥٣)

وقال ابن العرندس (ت، حدود ٨٤٠هـ):

ولقد بري منّي السقام وبـتُّ في ... لُجج الغرام معالجاً كرب البَلا
وجرت سحائب عبرتي في وجنتي ... كدم الحسين على أراضي كربلا
تاللهَّ لا أنساه فـردا ظامـياً ... والماء ينهل منه ذبيان الفَلا
والقوم محدقةٌ عليه بجـحفلٍ ... كالبحر، آخرُه يحاكي الاوّلا
ومن العجائب أنّه يشـكو الظـما ... وأبوه يسقي في المعاد السَّلسلا
حامت عليه للحِمام كـواسرٌ ... ظمئت فأشربت الحمام دم الطلا
أمست به سمرُ الرياح وزُرْقُـها ... حمراً وشهبُ الخيل دهماً حُفَّلا
تبّاً لهم فعلوا بـآل محـمدٍ ... ما ليس تفعله الجبابرة الأولى
ولأَبكينّ على الحسين بمدمـعٍ ... قانٍ أبلُّ به الصعيد المُمحِلا

(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج٩ص١١٣)

وقال ابن نفيع الحلي (ت، بعد ٨٤٠هـ):

عجباً لقلب فيكمُ لا يُفـجعُ ... ولأَنفسٍ في رزئكم لا تجزعُ
خُصّ الكرامُ بكلّ خَـطب فادحٍ ... فيه العقول مع القلوب تُروَّع
صبروا على البلوى بكل كـريهةٍ ... والسرّ فيهم لا محالة يودَع
طوبى لِأرضٍ حَلَّ في أكـنافها ... جسدُ الحسين وطاب ذاك الموضع
قدقُدّست أرض الطفوف وبوركت ... لما اغتدى لك في ثراها مضجع
لك تربة فيـها الشـفاء وقـبّة ... فيها الدعاء إلى المهيمن يُرفع
يا عترة الهادي النـبيّ ومَن هُمُ ... عزّي وكنزي والرجا والمفزع
واليتُكم وبـرئتُ من أعدائكم ... وأنا بغير ولاكمُ لا أقنع

وأنا بكم متنـــسّك وبحـبّكم متمسّك وبجدِّكم مستشفع
لم أهوَ ديناً أصله من غـــيركم حسبي افتخاراً أنني أتشيّع
وإلى (نقيح) نسبتي ومحـــمد اسمي فكم لي منكر ومضيِّع
(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج٩ص٢٦٧)

أحمد بن الحسن النحوي(ت١٨٣اهـ):

لو كنت حين سلبت طيب رقادي عوّضت غير مدامع وسهاد
صبرًا على مضض الـــزمان فإنّما شيم الزمان قطيعة الأمجاد
نصـبت حـــبائله لآل محـــمّد فاغتالهم صرعى، بكلّ بلاد
بأبي فريدًا أسلـــمته يد الـــردى في دار غربته لجمع أعادي
حتى ثوى ثبت الجنان على الثـرى من فوق مفتول الذراع جواد
لم أدر حـــتى خرّ عـــنه بأنّها تهوي الشواهق من متون جياد
(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج١٢ص٣٨)

الحسن بن محمد الدمستاني(ت١٨١اهـ)

من يلهه المرديان المـال والأمـــل لم يدر ما المنجيان العلم والعملُ
يا منفق العمر في عصيان خـــالقه أفق فإنّك من خمر الهوى ثملُ
تعصيه لا أنت في عصيانه وجـــلٌ من العقاب ولا من منّه خجلُ
أنفاس نفسك أثمان الجنان فـــهل تشري بها لهبًا في الحشر يشتعلُ
تشحّ بالمال حرصًا وهو منـــتقل وأنت عنه برغم منك تنتقلُ
أفدي الحسين صريعًا لا صريخ له إلَّا صرير نصول فيه تنتصلُ
والطعن مختـــلف فيه ومـــؤتلف والنحر منعطف والعمر منبتلُ
أليس ذا ابن عليّ والبـــتول ومـن بجدّه ختمت في الأمّة الرّسلُ
(موسوعة طبقات الفقهاء/ ج١٢ص١٠١)

أحبَّ اللهُ من أحبَّ حسينا

الشيخ حسن العيساوي/ باحث وخطيب

ينابيع

إن حب الإمام الحسين عليه السلام ومودته عبادة بنص القرآن الكريم، وأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قال تعالى: (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) (الشورى: ٢٣)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينًا، حسينٌ سبطٌ من الأسباط)[1]، فإن ترك حب الإمام الحسين عليه السلام ومودته تعد خروجاً من الإسلام، فضلًا عن معاداته!

ومعاداة الإمام الحسين عليه السلام ظاهرة غريبة في الإسلام جعلت الباحثين والكتاب يتجهون إلى الدراسة والنظر في أسباب هذا البغض والمعاداة وإلى كتابة آلاف البحوث والمقالات في ذلك.

لقد قتل الإمام الحسين عليه السلام مظلومًا مقهورًا وبطريقة تقشعر لها الأبدان، ويتألم كل من يسمع بها مهما كان دينه واعتقاده، وقد بكت عليه السموات والأرض وكل شيء في هذه الدنيا، إلّا قتلته وأعداؤه الذين يحسبون أنفسهم مسلمين !.. وهؤلاء تجدهم في كل زمان ومكان.

ففي عصرنا الحالي الذي انتشرت فيه الكتب والدراسات وأساليب التواصل السريعة، لم يعد الحصول على المعلومات شيء متعسر، ولم تعد الوقائع التاريخية خافية على أحد، وبعد أن تكشفت الحقائق صار نشازاً على أعداء الإمام الحسين عليه السلام أن يعلنوا معاداتهم له، فاتبعوا أساليب جديدة في محاربة الإمام ونهجه، بقتل شيعته ومحبيه تارة، ومحاربة إحياء ذكره وإقامة مراسيم العزاء تارة أخرى، والأنكى من ذلك أن بعضهم ممن ينسبون أنفسهم

إلى التشيع، فترى هؤلاء يسعون ليل نهار إلى إطفاء نوره ومحو اسمه وذكره، وبأساليب مختلفة، ويبذلون الأموال الضخمة ويجندون الإمكانيات البشرية والإعلام وكل شيء في سبيل ذلك.

لقد أبقى الله سبحانه وتعالى ذكر الإمام الحسين عليه السلام يعلو ويعلو كلما مر الزمان، مع أن أعداءه قتلوه في أرض غربة، وتركوه من غير دفن، معتقدين ـ لسفه عقولهم ـ أنهم بهذه الوسيلة يمحون ذكره ويضيعون خبره، ولكن الله أحيا ذكره ورفع منزلته في الدنيا وجعل مرقده كعبة تهوي إليها القلوب ومنارًا تهتدي به الشعوب، أما منزلته في الآخرة فلا تضاهيها منزلة، فهو الشافع المشفع وباب النجاة والسبيل إلى دار النعيم في جنان الخلد.

إن أسباب العداء لإمامنا الحسين عليه السلام تدعو كل مؤمن إلى التفكير بها ومعرفتها والتدقيق فيها والحذر الشديد منها، ومراقبة النفس من الخصال التي تجعل الإنسان لا يحب الإمام الحسين عليه السلام، أو لا يتأثر بمصابه ولا يقيم له العزاء أو المشاركة في مأتمه، فإن ذلك نذير خطر عظيم إذ يهوي بالروح إلى عذاب الأبد وعدم نيل الشفاعة، ولذلك كان شعار العلماء والعرفاء والصلحاء وكل المؤمنين هو التأسي والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائه واللعنة عليهم.

فالعداء للإمام الحسين عليه السلام لم ينتهِ في كربلاء، ويوم عاشوراء، كما يتصور البعض، ويستشكلون على من يبكي عند ذكر الإمام الحسين عليه السلام بدعوى أن القضية انتهت في ذلك اليوم، وقد مضت مئات السنين على الحادثة، فلا داعي لهذا البكاء والنحيب، وهذه الشبه جاء بها أعداء الإمام عليه السلام لغرض خداع البسطاء من المسلمين الذين لا حظ لهم من العلم

والمعرفة ولتضليلهم.

إن موالاة الإمام الحسين عليه السلام وإحياء ذكره والبكاء على مصيبته واللعنة والتبرؤ من أعدائه، هي أصل الدين وبها تقبل الصلاة والصوم وكل الأعمال الصالحة والثواب العظيم والفوز بالجنان، إذ أن الظالمين على مر العصور والدهور كانوا غالباً ما يصلون ويصومون ويقرؤون القرآن، حتى أن قاتل الإمام الحسين عليه السلام عمر بن سعد صلى على القتلى من جيشه، وترك الإمام الحسين عليه السلام عرياناً مسلوباً على رمضاء كربلاء متخيلاً أن ذلك سوف يقبل منه أو من أفراد جيشه.

والسؤال الذي يثار هنا: كيف يمكن لمسلم يؤمن بالله ورسوله يعادي الإمام الحسين عليه السلام، بل ويقتله ؟ إلا إذا كان وراء ذلك أسباب قاهرة.

العوامل المؤدية لمعاداة الإمام الحسين عليه السلام

لقد اشتركت عوامل وأسباب عديدة في نصب العداوة للإمام عليه السلام والانتقام منه بتلك الطريقة البشعة، وهو سيد شباب أهل الجنة وسبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وريحانته وحبيبه، وأمه الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يوجد شخص في يوم مقتله أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منه، فكيف يمكن لإنسان يدعي الإسلام أن يقتل الإمام عليه السلام، ولكن يبدو أن هناك عوامل ودوافع موجودة عند الانسان تحثه وتدفعه إلى محاربة الإمام عليه السلام ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

قسم منها يعتمد على الظروف الخارجة عن النفس الإنسانية ونقصد بها ظروف التربية والتنشئة والتعليم وما يتمخض عنها من بذر السلوك المنحرف في النفس إن وجدت الارضية الملائمة لتلك البذرة من الإنبات، وهذا ما تحقق بالفعل من خلال الاطلاع على سِيَر تربية قتلة الإمام الحسين عليه السلام، من أكل مال الحرام وما نبت في نفوسهم من استعداد لتلقي الباطل واحتضانه والسير خلفه، إضافة إلى تنشئتهم على الحسد والكره والبغض .. وهذا الموضوع سنخصص له دراسة خاصة في وقت آخر إن شاء الله.

أما القسم الذي نريد طرحه هنا هو العوامل الداخلية الكامنة في النفس البشرية التي أدت وتؤدي لمعاداة الإمام الحسين عليه السلام.

فهناك ثلاثة عوامل رئيسية داخلية في نفس الإنسان إن وجدت يكون الإنسان مهيئًا لمعادة الإمام الحق عليه السلام، وإن عدمت يكون مهيئًا لمحبة الإمام عليه السلام والتمسك به ومولاته، وهي كما يلي:

أولاً: النفاق

من الثابت تاريخياً في مصادر الفريقين وبروايات متواترة أن آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، (فقد روى أبو سعيد الخدري، وشهر بن حوشب عن أم سلمة، أنها قالت: (نزلت في بيتي ـ وتقصد آية التطهير ـ وفيه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة فجللهم بها، ثم قال: هؤلاء، أهل بيتي، أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ألست من أهل البيت؟ فقال: إنك على خير)[٢]، فهؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

بدعاء رسول الله لهم، لابد أن يكون حبهم إيمان وبغضهم كفر ونفاق. فـ (عن محمد بن القطبي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الناس غفلوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي يوم غدير خم، كما غفلوا يوم مشربة أم إبراهيم، أتاه الناس يعودونه، فجاء علي عليه السلام ليدنو من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجد مكانًا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم لا يوسعون لعلي عليه السلام نادى: يا معشر الناس فرّجوا لعلي، ثم أخذ بيده فقعده معه على فراشه، ثم قال: يا معشر الناس هؤلاء أهل بيتي تستخفون بهم وأنا حي بين ظهرانيكم؟! وأما الله لئن غبت عنكم فإن الله لا يغيب عنكم، إن الروح والراحة والرضوان والبشر والبشارة والحب والمحبة لمن ائتم بعلي وولايته وسلم له وللأوصياء من بعده حقًا لأدخلنهم في شفاعتي، لأنهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني.....)[٣].

بهاتين الروايتين يتضح أن الإمام الحسين عليه السلام هو أحد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهو أحد الذين أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن أحبهم كان مؤمناً ومن أبغضهم كان منافقاً. ومن هنا صار واضحاً أن مبغضي الإمام الحسين عليه السلام كانوا منافقين بامتياز إن لم يكونوا كفاراً.

ثانيًا: عدم طهارة المولد

فقد روي عن أبي أيوب الأنصاري قوله: (اعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي طامث)[٤]، وما يجري على الإمام علي عليه السلام يجري على ولده وسبط رسول الله الإمام الحسين عليه السلام. طبقاً للروايات المتقدمة آنفا.

وبحسب المصادر التاريخية فقد كان أعداء الإمام الحسين عليه السلام من ولد الزنا والحرام، وقد أخبر الإمام عليه السلام عن عبيد الله بن زياد لعنه الله بأنه ابن زنا، وأبوه زياد ابن زنا أيضًا، بقوله عليه السلام: (أَلا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيّ قَدْ تَرَكَني بَيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ لَهُ ذلكَ منّي! هَيْهاتَ منّا الذِّلَّةُ! أَبىَ اللهُ ذلكَ لَنا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ وَجُدُودٌ طابَتْ، أَنْ يُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئام عَلى مَصارِعِ الْكِرام)[٥]، والدعي في اللغة العربية (هو المنسوب إلى غير أبيه)[٦]، فقد كانت (مرجانة بنت نوف: وهي أمة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يصلها سفاحًا العديد من الرجال من بينهم زياد ابن أبيه فباعها عبد الرحمن وهي حامل من الزنا، فولدت عبدين هما عباد وعبيد الله ابنا مرجانة، لا يعرف لهما أب، فاستدعاهما زياد واستلحقهما به ....وبعد أن كان عبيد الله بن زياد واليًا على البصرة زمن معاوية ولاه يزيد الكوفة حيث قاتل الإمام الحسين عليه السلام حفيد نبي الأمة، حيث خاطبه الإمام بالدعي ابن الدعي)[٧].

وكذلك كانت أم زياد (سمية بنت المعطل النوبية): من البغايا ذوات الأعلام وكانت أمة للحارث بن كلدة وتنسب أولادها ومنهم زياد مرة لزوجها عبيد بن أبي سرح الثقفي فيقال زياد بن عبيد ومرة يقال زياد ابن سمية ومرة زياد ابن أبيه ، حتى استلحقه معاوية بأن أحضر شهوداً على أن أبا سفيان قد واقع سمية وهي

تحت عبيد بن أبي سرح وبعد تسعة أشهر ولدت صبيًا أسموه زياد.)[٨].

وقد تبرأ عبيد الله من أمه بسبب سوء سمعتها عند أهل البصرة، وقد اعترف هو بذلك، فعندما (مازح عبيد الله بن زياد حارثة بن بدر، فقال له: انت شريف لو كانت أمهاتك مثل أبائك، فأجابه حارثة إن أحق الناس بأن لا يذكر الأمهات هو الأمير! إشارة إلى ابن مرجانة وسمية فقال: عبيد الله استرها عليّ ولك عشرة الآف درهم)[٩]، وقد حاول أن يتبرأ من نسب أمه مرجانة لأنها معروفة بالزنا بامرأة أخرى تدعى سمية بنت الأعور من بني عبد شمس ولكنه لم يستطع ذلك.

وخلاصة القول: أن عبيد الله ومن نسب له (زياد) ابنا زنا معًا. لذلك كله كان عداؤه للإمام الحسين عليه السلام شديداً ومبغوضيته مقيتة. وكل من يعادي الإمام الحسين عليه السلام فهو ابن زنا وحرام، وقد عرفوا بذلك. فحينما ندب عمر بن سعد فرسانه ليطؤوا صدر الإمام الحسين عليه السلام، استجاب له عشرة منهم، (قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدنا هم جميعا أولاد زناء)[١٠].

ثالثاً: اتّباع الشيطان الرجيم

من الدوافع التي تؤثر وتدفع الإنسان إلى ارتكاب المعاصي والذنوب هي الشيطان اللعين غواية منه لابن آدم، كما في خطابه إلى رب العزة: (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**) (ص:٨٢،٨٣)، ومن أعظم تلك الذنوب معاداة أولياء الله المخلصين، لأنه لايستطيع اغواءهم كما في النص المتقدم، فيوسوس الشيطان إلى أوليائه بمعاداة أولياء الله، باعتبارهم هداة للناس يدعونهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وهذا ما يتقاطع مع أهداف وغايات الشيطان الرجيم من الغواية والتظليل. ومنهم معادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي هو من الائمة الذين يهدون إلى الله سبحانه تعالى، وهو أحد الثقلين الذين تركهما لنا النبي صلى الله عليه وآله وأمرنا بالتمسك بهما، قال صلى الله عليه وآله: (إني قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[١١]، وهم فينا كمثل سفينة نوح عليه السلام التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله بالركوب بها وترك كل شيء غيرها ،كما في قوله صلى الله عليه وآله: (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[١٢]، هذا فضلاً عن الروايات التي تنص على أن الإمام الحسين عليه السلام هو سفينة النجاة الواسعة والسريعة إلى الخير والعمل الصالح، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[١٣] وكما ورد عن المعصومين عليهم السلام: (كلنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع، وكلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أسرع)[١٤]، ولذلك فإن الشيطان يعادي هذه السفينة التي تنقذ الناس من الضلالة والحيرة وتضمن لهم نعيم الأبد وجنة الخلد وتخلصهم من جحيم الآخرة ومن عذاب النار، وقد ذكر الإمام عليه السلام أن الذين كانوا في كربلاء هم من استحوذ عليهم الشيطان وتملكهم فجعلهم يعادون

الإمام الحسين عليه السلام وهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وريحانته.

لقد استطاع الشيطان اللعين أن ينظر بأعينهم وينطق بلسانهم ويشترك في فعلهم القبيح لأن المسلم لايمكن له أن يفعل ما فعله هؤلاء المجرمين.

وقبل أن ننهي موضوع الشيطان، لابد من الرد على إشكال قد يتبادر إلى الذهن، مفاده: إذا كان الشيطان له دور رئيسي في الإغواء، فلماذا يتحمل الإنسان مسؤولية انحرافه عن الحق واتباع الباطل؟

والجواب كما نطق به التنزيل: (... **فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**) (النحل:١٠٠، ٩٩، ٩٨)

خلاصة القول: ثبت أن حب الإمام الحسين عليه السلام إيمان وبغضه كفر ونفاق، وأن قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأعداءه اجتمعت فيهم الخصال الثلاث المتقدمة، النفاق، وعدم طهارة المولد، واستحواذ الشيطان عليهم وجعلهم مطية له.. بل أكون جازمًا أن هذه الخصال ملازمة لكل أعدائه من الأولين والآخرين■

---

١) مسند أحمد/أحمد بن حنبل/ج٤ص١٧٢.
٢) المعتبر/المحقق الحلي/ج١ص٢٣.
٣) بصائر الدرجات/محمد بن فروخ الصفار/ ص٧٣.
٤) علل الشرايع/ الشيخ الصدوق/ ج١ص١٤٥.
٥) مثير الأحزان/ابن نما الحلي/ ص٤٥.
٦) لسان العرب: ابن منظور-٣٥٤- .
٧) مقال بعنوان (كيف أصبح أولاد الزنا أمراء للمسلمين) للكاتب أسامة أنور عكاشة نشر في الصحف المصرية وتناولته العديد من المواقع أثار ضجة كبيرة وقد كفره الأزهر عليها، ولكنه لم يتراجع عنه.
٨) ن.م.
٩) مقتل الإمام الحسين عليه السلام: عبد الرزاق المقرم -٢٣٤-.
١٠) البحار/ العلامة المجلسي/ ج٤٥ ص٦٠.
١١) البحار/العلامة المجلسي: ٢٢ | ١٠٦.
١٢) البحار/العلامة المجلسي: ٢٢ | ١٠٥.
١٣) مدينة المعاجز/ هاشم البحراني/ ج٤ص٥٢.
١٤) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام/ المهتدي البحراني/ ص٣٨.

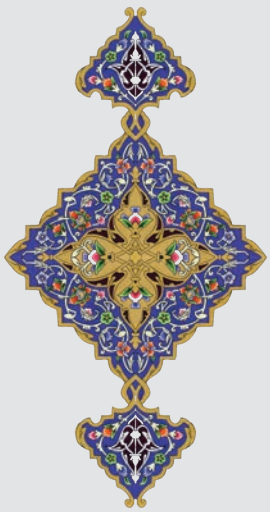

أجوبة مسابقة العدد (٧٠)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- النباج

السـؤال الثاني: ج- محمد المعتصم

السـؤال الثالث: أ- ٧٢ صلاة

السـؤال الرابع: ب- أفمن إلى نقض العهود دعاكِ

السؤال الخامس: ب- مؤمن الطاق

السؤال السادس: أ- خمسة نفر

السـؤال السابع: ب- دهاء البهاء

السـؤال الثامن: أ- الجمل

السـؤال التاسع: ج- مفتاح الفلاح

الفائز بالجائزة الأولى: ناهدة جعفر حسين/ ناصرية/ الشطرة

الفائز بالجائزة الثانية: محمد رسوم سعيد/ بابل- حلة/ حي نادر٣

الفائز بالجائزة الثالثة: رضا هادي علي/ النجف الأشرف/ حي نصر

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٢)

١ (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى، ولا أطهر، من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي)، من جملة كلام للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بيّن فيه منزلة أهل بيته وأصحابه ممن التحقوا بركبه ووطّنوا نفوسهم على القتل دونه، ففي أي وقت جرى كلامه هذا؟

أ- في ليلة عاشوراء ب- في صبيحة عاشوراء

ج- عندما بقي وحيدا فريداً

٢ من كلام للإمام الرضا عليه السلام للريان بن شبيب قال عليه السلام: (لقد بكت السماوات السبع والأرضون السبع لقتل الحسين ولقد نزل إلى الأرض .... من الملائكة لنصره، فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم عليه السلام)، كم عدد الملائكة الذين ذكرهم الإمام الرضا عليه السلام ؟

أ- سبعة آلاف ب- أربعة آلاف ج- ألفان

٣ عندما أيقن مسلم بن عقيل عليه السلام بمقتله أوصى لعمر بن سعد باعتباره أقرب الموجودين رحماً له في مجلس عبيد الله بن زياد وقد أوجز وصاياه عليه السلام بقضاء دينه ودفن جثته وإخبار الحسين عليه السلام بعدم القدوم للكوفة، فماذا صنع ابن سعد حينها؟

أ- أخبر عبيد الله بن زياد بما قاله مسلم عليه السلام.

ب- احتفظ بسر مسلم عليه السلام ولم يذعه لأي أحدٍ.

ج- أخبر عبيد الله ببعض الوصية واحتفظ ببعضها الآخر.

٤ صحابي لكنه انحرف عن اتباع الحق، وقد حضر مجلساً بالكوفة كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يتحدث فيه بقوله: (سلوني قبل أن تفقدوني)، فقال له: أخبرني يا أمير المؤمنين كم في رأسي ولحيتي من شعرة، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: ما في رأسك أو لحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك سخل يقتل ولدي الحسين، فمن يكون؟

أ-البراء بن عازب ب- أبو موسى الأشعري

ج- سعد بن أبي وقاص

كوبون المسابقة

ينابيع ٧٢

الاسم الثلاثي:العنوان:

جواب السؤال الأول		جواب السؤال الثاني		جواب السؤال الثالث		جواب السؤال الرابع	
أ		أ		أ		أ	
ب		ب		ب		ب	
ج		ج		ج		ج	

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلاف تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع الثاني/ ١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	جواب السؤال السادس	جواب السؤال التاسع	جواب السؤال الخامس	جواب السؤال الثامن
أ	أ	أ	أ	أ
ب	ب	ب	ب	ب
ج	ج	ج	ج	ج

٥ (رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى بنفسه حتى قطعت يداه)، من حديث للإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة قاله عندما رأى شخصاً يُذكّره بعمه أبي الفضل العباس عليه السلام، فمن ذلك الشخص؟

أ- ولده الفضل ب- أمه أم البنين ج- ولده عبيد الله

٦ (يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين ظهرانيكم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم)، من كلام تحدث به ناصر من أنصار الحسين عليه السلام أراد أن يستكشف ما يدور من توجهات لدى الجيش الأموي، فمن هو؟

أ-بريربن خضير ب- حبيب بن مظاهر ج- مسلم بن عوسجة

٧ هرثمة بن أبي مسلم كان في جيش الإمام علي عليه السلام الذي سار به لمعركة صفين، وقد حدث هرثمة هذا زوجته عن نزولهم أرض كربلاء أثناء الطريق وكيف شم أمير المؤمنين عليه السلام تربتها وقال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، وقد حدد هرثمة وقتا للنزول، فأي وقت كان؟

أ- الغداة ب- الظهيرة ج- العشي

٨ في حديث رواه الأوزاعي حيث قال: (بلغنا خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق فقصدت مكة والتقيت به. وقال لي: عرفت أنك جئت تنهاني عن الخروج إلى العراق...) وقد حدد الإمام الحسين عليه السلام يوم شهادته، فأي يوم كان؟

أ-السبت ب- الاثنين ج- الأربعاء

٩ منزل من المنازل التي مر بها الإمام الحسين عليه السلام أقام به يوماً وليلة وفيه سمعت السيدة زينب عليها السلام منادياً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار إلى إنجاز وعد

فما اسم هذا المنزل؟

أ- الخزيمية ب- الثعلبية ج- حاجر بطن الرمة

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500

شعائرنا

صورة نادرة للصحن الكاظمي المطهر يوم عاشوراء سنة ١٩٣٥م حيث مواكب اللطم ولعزاء

مؤسسة الحكمة الثقافية الإسلامية